أ. د. سعاد ماهر

مساجد في السيرة النبوية

لوحة رقم (١٥) : اروقة المسجد النبوى .

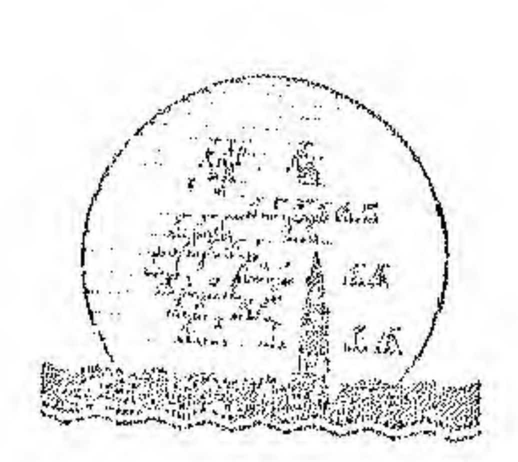
لوحة رقم (١٨) : محراب المسجد النبوى





مساجد فى السيرة النبوية

ا. د. سعاد ماهر




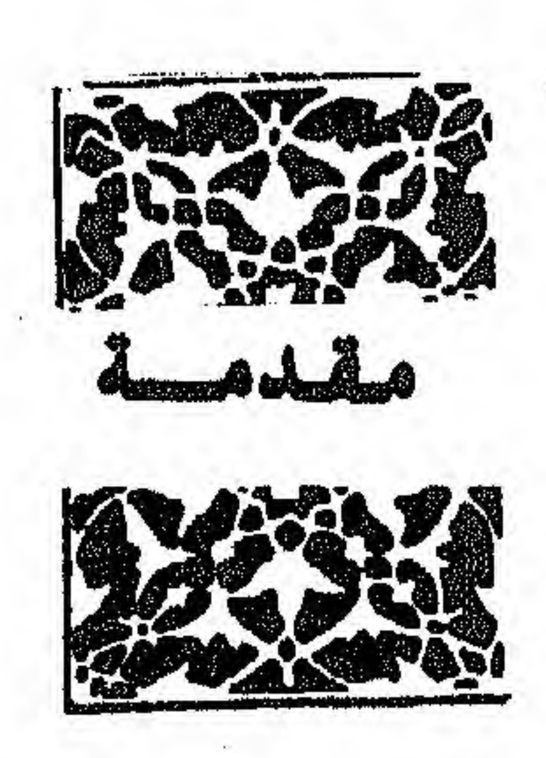
الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

الإخراج الفنى

ألبير جورجى

مساجد فى السيرة النبوية





مقدمة

لعل خير ما نستهل به السيرة العطرة ، سيرة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث عن أماكن ذكر فيها اسم الله كثيراً سجوداً وقياماً وتعبداً وخشوعاً ، جاء اسمها فى سياق السيرة النبوية دون أن تأخذ ما تستحقه من العناية أو الوصف وتحديد المكان ، تلك هى قصة المساجد الأولى فى الإسلام التى كان لها فى قصة جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى نشر الدعوة الإسلامية أثر أكبر الأثر . ونود قبل أن نتناول هذه المساجد بالبحث والوصف والدراسة ، أن نذكر فى كلمات ، جانباً من السيرة العطرة ، وخاصة تلك التى تدور أحداثها حول تلك المساجد .

قال البخارى ، فى ترجمة (مبعث النبى صلى الله عليه وسلم)[1] : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم[2] بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (بن خزيمة) بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان »[3] .

---

(١) البخارى : المناقب جـ ٧ ص ١١٣ .

(٢) وقيل ان هاشم بن عبد مناف إنما سمى بهذا الاسم ، أنه كان عليه رعاية الحجيج ورفادتهم فى عرفات ، وحدث أن انتابت الحجاز مجاعة فخاف أن تقضى على وفود الحجيج ، فما كان من ابن عبد مناف إلا أن سافر إلى بلاد الشام ، واشترى كميات كبيرة من الكعك وأتى به إلى مكة وهشمة باللبن وقدمه إلى الحجيج وأنقذهم من المجاعة ، فعرف منه ذلك الوقت بهاشم ، كناية عن الجود والكرم (الأزرق ، تاريخ مكة جـ ١ ص ٥٧) .

(٣) العاقولى : الرصف لما روى عن النبى من الفعل والوصف جـ ١ ص ١٣ .

ويحدثنا الأزرق[1] عن السبب فى تسمية قصى وأبنائه وأتباعه بقريش فيقول : قال ابن اسحاق ، فلما كان ذلك العام ، فعلت (صوفة) ، كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك العرب ، وهو دين فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخزاعة وولاتهم ، فآتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة ، عند العقبة (بمنى) فقال : لنحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفة وغلب قصى على ماكان بأيديهم من ذلك[2] .

ويضيف الأزرق فيقول : أما عن تسمية قصى ومن معه بقريش ، فيرجع إلى أن سدنة الكعبة قبله من جرهم وخزاعة ، كانوا يسكنون أعلى جبل أبى قبيس الذى يقع إلى الجنوب من مكة ، وذلك خوفاً من أن يدنسوا بيت الله بما يقترفوه من الآثام والقذارة . فلما تغلب قصى عليهم ، رفض سكنى جبل (أبى قبيس) وطلب من أبنائه وأتباعه أن (يتقرشوا) أى يتحولقوا حول الكعبة حتى تهابهم العرب فعرفوا منذ ذلك الوقت بقريش . ويضيف الأزرق فيقول : وكان عليهم منذ أن تقرّشوا حول الكعبة أن يحافظوا على طهارتهم ، فعرفوا كذلك (بالحُمس) أى المتطهرين ، إذ لم يكتفوا بعدم ارتكاب الفاحشة فحسب بل حافظوا على طهارة ملابسهم عند دخولهم الكعبة ، كما حرصوا على أن لا تطوف العرب حول الكعبة بملابس غير طاهرة ، ومن ثم فقد كانوا يعطون الطائفين من عِلِيَّة القوم ملابس من عندهم طاهرة ، أما فقراء العرب فكانوا يطوفون حول الكعبة مساءً وهم عراة حتى لا يُنجسوها[3] .

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم لأبويه عبد الله بن عبد المطلب وأمه آمنة بنت وهب بمكة المكرمة فى الدار التى تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج وذلك كما يقول ابن عبد البر[4] : قال الزبير ، يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ،

---

(١) الأزرق : مكة جـ ١ ص ١١٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٢٣ .

(٣) الأزرق : مكة جـ ١ ص ١٢٢ .

(٤) العاقولى جـ ١ ص ١٩ .

قال : وقيل : بل يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل » .

وكان أبوه قد مات وأمه حامل به ، فكفله جده عبدالمطلب ، وتوفيت والدته بالأبواء بين مكة والمدينة وهو ابن ست سنوات وقيل سبع وقيل ثمان سنين [١] . وتوفى جده عبدالمطلب بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهرا [٢] ، سنة تسع من أول عام الفيل [٣] .

وقد نزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة وهو فى الأربعين من عمره فمكث ثلاث عشرة سنة [٤] ، ثم أُمِر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الثالثة والستين من عمره [٥] .

وقال ابن اسحاق : وكان ما أخفى النبى صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمر بإظهاره ، ثلاث سنين من مبعثه :

وقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين وتحمل ما أُنزل به وبأصحابه رضى الله عنهم ، حتى بعث بهم إلى النجاشى ، وأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين [٦] . وجاء عن جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنه قال : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الحاج فى منازلهم فى أسواق عكاظ وذى مجاز ومجنه ومنازلهم بمنى : من يؤوينى وينصرنى حتى أُبَلِّغ رسالات ربى فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره .

---

(١) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص ١١٦ .

(٢) ابن عبد البر : الإستيعاب جـ١ ص ٣٤ .

(٣) ابن هشام جـ١ ص ١٢٦ .

(٤) البيهقى : دلائل النبوة جـ١ ص ٣١٨ .

(٥) البخارى : المغازى جـ٨ ص ٢٣ .

(٦) الحاكم : المستدرك جـ٣ ص ٣٨٨ .

وقال ابن اسحاق المطلى : ثم أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وكان الإسلام قد فشا بمكة فى قريش وفى القبائل كلها » . ويضيف ابن اسحق فيقول عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً أحسن منه إلى الخ » .

وقد توالت الكوارث على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (الإسراء والمعراج) وذلك بوفاة زوجه السيدة خديجة بنت خويلد وعمه (أبوطالب) فى عام واحد ، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من أقاربه من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، فخرج إليهم وحده ، وهنا يقول ابن اسحاق عن ابن كعب القرظى قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب ، فجلس اليهم الرسول ، فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط [1] ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال آخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال ثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى أن أكلمك [2] فقام الرسول صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من ثقيف ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط [3] لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهم فيه . فلما إطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى إلى قريب يتجهمنى ؟ أم عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب علىّ

---

(١) يمرطه : أى ينزعة ويرمى به .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٤١٩ .

(٣) الروض الأنف ص ٢١١ (الحائط : البستان)

فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[1] .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، كما ذكرنا آنفا ، وما لقى ، عطفا عليه ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عدّاس فقالا له خذ قطفا من العنب ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، ففعل عدّاس ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس فى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال نصرانى من أهل نينوى[2] ، فقال الرسول من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عدّاس : وما يدريك ما يونس بن متى ، فقال الرسول : ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على الرسول يقبل رأسه ويديه وقدميه[3] ثم قال : وانصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً إلى مكة .

ثم قدم الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمنوا به . فكان الرسول يعرض نفسه فى مواسم الحج على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين الله ما بعثه به . فلما كان العام المقبل من موسم الحج وافى الموسم من الأنصار اثنى عشر رجلا لا قوه بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله . فلما كان الموسم التالى على البيعة الثانية ، حضر من الأوس والخزرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وبايعوا الرسول البيعة الكبرى التى تمت بعدها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة حيث كتب للإسلام أن ينتشر والدعوة أن تتم .

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٤٢٠ الروض الأنف جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٢) السهيلى : ص ٢٩٧

(٣) العاقولى جـ ١ ص ٢٢٣ .



بسم الله الرحمن الرحيم

مساجد فى السيرة النبوية العطره

وخير ما نستهل به مساجد السيرة النبوية العطره ، هو موقع المعجن بالكعبة المشرفة . والمعجن هو المكان الذى كان ابراهيم واسماعيل يضعان فيه (مواد « أو مونه » بناء الكعبة) وهو عبارة عن جزء مقعر بعض الشئ يقع فى قرب نهاية الضلع الشرقى للكعبة من الجهة الشمالية .

ويعتبر مكان المعجن أول مكان سجد فيه محمد صلى الله عليه وسلم لله سبحانه وتعالى عندما فرضت عليه الصلاة . وكان ذلك قبل هجرته بعام وقيل بعام ونصف . فقد ورد فى السيرة العطرة ، انه عندما فرضت الصلاة على رسول الله ، أتى جبريل عليه السلام بالرسول إلى الكعبة وفى مكان المعجن علمه كيف تؤدى الصلاة ومن ثم فقد أصبح أول مكان سجد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فرضت عليه الصلاة ، ومن ثم فقد كان عليه السلام كثيراً ما يلجأ إليه ويصلى فيه ركعتان ، عندما يكون فى ضيق ويرجو أن يفرج الله كربه . وقد ورد فى السيرة العطرة ، أن الرسول قال للسيدة عائشة رضوان عليها ، إذا كنت يا عائشة فى ضيق وكنت صادقة النيه ، ولا تدرى لهذا الضيق مخرجا ، فاذهى إلى المعجن واسجدى لله ركعتين فلا تغادر إلا وقد فرج الله كربك .

ولعل من الأحداث التاريخية الهامة التى نستشهد بها فى هذا المجال . ماحدث للسلطان عبدالحميد الأول ، سلطان الدولة العثمانية سنة ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤م .

من المعروف ان السلطان الظاهر بيبرس قد أحيا الخلافة العباسية بعد سقوطها فى العراق على يد التتار (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م) وذلك باحضار أحد أحفاد العباسيين الذين فروا من وجه التتار ونصَّبه خليفة فى مصر وذلك (٦٥٩ هـ/١٢٦١ م) وهكذا ظلت الخلافة العباسية باقية فى مصر حتى استيلاء الدولة العثمانية على مصر ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م ، وأخذهم آخر خلفاء العباسيين إلى القسطنطينيه . ولكن الخليفة أتى ببعض الأعمال لم يرض عنها السلطان سليم الأول فحبسه وجرده من لقب الخلافة ، ثم أخلى سبيله فى عهد ولده سليمان ، وفى عهد سليم الثانى سمح له بالعودة إلى مصر حيث توفى (٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م) وبذلك انتهت الخلافة الإسلامية تماماً .

ظل العالم الاسلامى قرابة قرنين ونصف من ٩٤٥ هـ حتى ١١٨٨ هـ/ ١٥٣٨ ـ ١٧٧٤ م وليس به خليفة حتى حدث الآتى . لقد برزت أهمية الخلافة الاسلامية على مسرح السياسة الدولية فى عهد السلطان عبد الحميد الأول ، عندما وقع على معاهدة الصلح مع روسيا (١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م) وهى المعروفة باسم (كوشك كيناراجى) بينه وبين الامبراطورة كاترين الثانية والتى نص فيها بحق كاترين فى حماية المسيحيين الارثوذكس القاطنين فى أراضى الدولة العثمانية ، ومن ثم كان على عبد الحميد ان يكون له مثل هذا الحق بالنسبة للمسلمين ، لكن ذلك لن يتأتى له إلا إذا كان خليفة للمسلمين . فاشارت عليه بعض حاشيته من رجال الدين أن يذهب إلى مكه لعله يجد له مخرجا . وكانت حادثة صلاته بالمعجن ومصافحه سدته الكعبة بعد الصلاة بقولهم له حرما ياخليفة رسول الله .

فلما رجع السلطان عبد الحميد إلى القسطنطينيه طالب باعتباره خليفة رسول الله بحقه فى حماية المسلمين ، كما طالب بحقه فى منح تفويض لوالى القرم بالحكم وتعيين القضاه والمفتين . ومنذ ذلك الحين بدأ سلاطين الدولة العثمانية يدركون أهمية لقب الخلافة بالنسبة لسياستهم الخارجية والداخلية على حد سواء .

التعريف بالمسجد

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود ، والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود والمِسجد بكسر الميم الخُمرة وهى الحصير الصغير[1] . وهناك أحاديث متواترة أخرجها الحفاظ فى كتب السيرة والفقه كالشيخين فى الصحيحين والبيهقى[2] ، تدل على أن النبى كان يصلى على الخُمرة ، وهى حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه ، تنسج من السعف ، ففى الحديث لأم سلمه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها : ناولينى الخُمرة . وجاء فى تاج العروس : « يقال صلى فلان على الخمره ، لأن خيوطها مستورة بسعفها . ويقول الشهرستانى[3] فى وصف الخمرة هى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير ، أو نسيجة خوص ونحوه من النبات . ثم يضيف ، ولا تكون الخمرة إلا فى هذا المقدار ، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها .

أما عن المسجد شرعاً ، فهو الموضع الذى يسجد فيه ، قال الزركشى[4] وكذا الزجاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وفى هذا يقول القاضى عياضُ[5] ، وهذا من خصائص هذه

---

(١) التصحيف للعسكرى .

(٢) السنن للبيهقى جـ٣ ص ٤٢١ .

(٣) الملل والنحل ص ٦ .

(٤) أعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٧ .

الأمة ، لأن من قبلنا ، كانوا لا يصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته . وقال القرطبى : هذا ما خص الله به نبيه ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات فى مواضع مخصوصة ، كالبيع (جمع بيعة) وهو معبد اليهود والنصارى . وكان عيسى عليه السلام يسبح فى الأرض ويصلى حيث أدركته الصلاة « ويعلق الزركشى على ذلك فيقول : فكأنه قال : جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيرى مسجداً ولم تجعل له طهوراً » وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبى هريرة فى عهد الطهور والمسجد فى حكم الواحد .

ويفسر الزركشى السبب فى اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول : لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل : مسجد ولم يقولوا مركع ، ثم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى السمجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الرُّبُط والزوايا والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك .

أما لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير ، فقد قال هشام بن عمار : لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده » .

يتضح لنا من هذا النص أن الجامع هو المسجد الذى تؤدى فيه الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع . ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهرة سياسية على جانب كبير من الأهمية ، فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمى . وإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة فى المسجد الجامع يكوِّن شارة من شارات الخلافة ، وأن عدم ذكر اسمه يعنى خلعه ، تبين لنا الدور السياسى بالإضافة إلى الدور الدينى الذى كان وما يزال يلعبه المسجد الجامع .

ولعل أبرز فروع الفن الإسلامى التى تأثرت بالجانب الروحى ، هى العمارة ، التى عنى المسلمون الأوائل أن تكون مهمتها الأولى خدمة الدين ، ومن ثم فقد تطورت العمائر الدينية تطوراً سريعاً ساير ركب الحضارة الإسلامية الفتية ، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعاً لتعدد وتغير وظائفها .

وقد بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد والأربطة فالمدارس والمصليات والخوانق والأسبلة والتكايا . على أننا إذا أردنا أن نتتبع تطور العمارة الإسلامية وجدنا المسجد حجر الزاوية فيها .

ولقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين فى مربد التمر الذى بركت فيه ناقته . وكان بناؤه بدائياً بسيطاً ، وكانت مساحته ٧٠ × ٦٠ ذراعاً وجدرانه من اللَبِن ، سقف جزء منه بسعف النخيل وترك الجزء الآخر مكشوفاً وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل .

وقد نهج المسلمون هذا المنهج فى بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ومسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص هذه السنة فى بناء مسجده فى مدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ . وكانت مساحته وقت إنشائه ٥٠ × ٣٠ ذراعاً ، جدرانه من اللَّبِن وأعمدته من جذوع النخل ، وتسوده البساطة .

وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجوفة ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ له منبراً فى مسجده ، **كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلاً له** : « أما يكفيك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك » فكسره .

ولم يقتصر اتباع السُّنَّة فى ذلك الوقت على بناء المساجد فحسب بل تعداه إلى الدور والمنازل ، فقد حدث بعد وقوع الحريق بمدينة الكوفة أن أرسل سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب **وفداً يستأذنه فى البناء باللبن فقال عمر** : « افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة » .

وكان المسلمون فى العصر الإسلامى الأول لا يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لأماكن العبادة بل كان يؤدى عدة وظائف أخرى لعل أهمها الناحية الثقافية . ففى أروقته وحول أعمدته تعددت حلقات الدروس والوعظ والإرشاد . كما كانت تعقد فيه الجلسات لفض المنازعات الدينية والمدنية . كذلك كان به بيت المال كما كان الحال فى المسجد الأموى وجامع عمرو وفيه كان جلوس متولى الحسبة .

من هذا يفهم أن المساجد فى العهد الأموى وأوائل العصر العباسى على أقل تقدير . كانت تمثل دور الحكومة فى مفهومنا الحديث إلى جانب وظيفتها الأساسية الدينية . وبديهى وقد أصبح المسجد يؤدى خدمات ووظائف متعددة تختلف باختلاف الشعوب والبيئات . أن تتعدد الأساليب المعمارية فى بناء المساجد وأن اتخذت جميعها مقومات العمارة الإسلامية وجوهرها . فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجرى تحتوى على صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الايوانات هى رواق القبلة لأهميته . كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة وفى كثير من الأحيان على ميضأة .

أما تخطيط المسجد . فكان غالباً مربعاً فى العراق وإيران . ومستطيلاً فى مصر والشام وشمال أفريقيا . وتعليل ذلك سهل ميسور . فأماكن العبادة السابقة على الإسلام فى بلاد ما بين النهرين كانت ذات تخطيط مربع ونعنى بها (الآتش جاه) أى بيت النار . أما فى غرب العالم الإسلامى حيث كانت تسوده المسيحية فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل .

أما فى العصر العثمانى فقد اختلف تصميم المساجد اختلافاً كبيراً عن العمائر الدينية السابقة فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة . وهنا لا نستطيع القول أن الوظيفة هى الدافع فى تغيير تخطيط المساجد العثمانية بل هو دافع سياسى أرادت به الدولة العثمانية صبغ الولايات التابعة لها بتبعية فنية لتأكيد التبعية السياسية .

فقد اتخذ العثمانيون من طراز المصليات السلجوقية فى القرن الخامس الهجرى

أساساً لعمائرهم الهامة [٦] . وكان قوام التخطيط العثمانى هو القبة الكبيرة المبنية من الحجر عادة وتحيط بها من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ايوانات محمولة على أكتاف تعلوها قباب ضحلة . ومن أحسن الأمثلة لذلك مسجد سنان باشا ومسجد محمد على بالقلعة الذى يعتبر نسخة من مسجد السلطان أحمد باسطنبول .

ومن العمائر الدينية الأخرى فى العصر العثمانى غير المساجد التكايا التى حلت محل الخانقاوات فى العصر العثمانى ، إذ أنها تؤدى نفس الوظيفة أى أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة ، ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين الوافدين على البلاد ، ومن هنا قيل عنها إنها مأوى تنابل السلطان ، أى الكسالى الذين لا عمل لهم .

أما من حيث التخطيط فهى مجموعة من الطرز والأساليب المعمارية ، فهى أساساً تشبه تخطيط المنزل الإسلامى ذى الصحن المتسع وتحيط به مجموعة من الايوانات والقاعات المتسعة ومسجد . وبالأدوار العليا توجد غرف للمبيت ثم يلحق بالتكية ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية .

---

(١) نجد وصفاً مفصلاً لمصلى بارسان بالقرب من أصفهان للمقدسى فى كتاب « أحسن التقاسيم » .

موقف الرسول أو مسجد الكوع

ومن الأماكن التى يستحب فيها الدعاء فى الطائف موقف (مكان) بجبل أبى زبيدة فى طريق الذاهب إلى (وج) من جبل يقال له قرين[1] . وأثر الموقف ظاهر فى صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد الموقف أو كما يطلق عليه الآن أهل قرية الخدام[2] ، مسجد الكوع . وقد جاء فى تحفة الطائف[3] « ومنها موقف عند وج يقال إنه وقف عنده صلى الله عليه وسلم وعنده شجرات سدر وشجرة ذكار وحماط . وإلى ناحية هذا الموقف بئر يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم شرب من مائها . وبجانب الموقف حظيرة يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بها » .

ووج التى عندها موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وادٍ بالطائف[4] ، وينقل العبدرى فى كتابه بهجة المهج عن أبى الصيف اليمنى فى وصفها فيقول : ثم يدخل قرية (وج) ، ويقال انه صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التى وسط القرية . « ومن

---

(١) ابن العجمى : من أخبار الطائف ص ٨٢ .

(٢) هى اليوم من أحياء الطائف ، وكانت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قرية تعرف بأم خُبز ، ثم عرفت بعد ذلك باسم قرية الخدام لكن خدام ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وهى فى جبل وتحتها مزارع وبساتين وآبار (الزرخلى) .

(٣) تحفة اللطائف فى فضائل ابن عباس ووج والطائف تأليف محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ابن فهد الهاشمى المكى . مخطوطة رقم (١٥) فى مكتبة الحرم المكى ، ونسخة أخرى بدار الكتب بالقاهرة رقم (٨١٠٣) .

(٤) القاموس جـ ١ ص ٢١٨ .

نواحى وج الهامة (الخَبْزة)[1] ، وهذا الوادى ونواحيه جميعها محرم كحرم مكة لا ينفر صيده ولا يعضد شجره » .

ومسجد الموقف أو الكوع ما يزال موجوداً حتى الآن بوادى وج وقد زرته حديثاً فى سنة ١٣٩٨ هـ ، وإن كان بناؤه يرجع إلى عهد حديث لعله يرجع إلى القرن الماضى ، ولكنه أقيم فى نفس الموقف الذى أشارت إليه المراجع السابقة .

وهو عبارة عن زاوية صغيرة تبلغ مساحتها ثمانية أمتار طولاً وسبعة عرضاً وتتقدمها ساحة مكشوفة تبلغ مساحتها سبعة أمتار طولاً وأربعة عرضاً . وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة أمتار طولاً فى أربعة أمتار عرضاً يفصل بينهما جدار مبنى يتوسطه باب معقود تبلغ سعته متراً وارتفاعه متران يكتنفه نافذتان صغيرتان معقودتان الشرقية منهما سدت حديثاً .

والجزء الجنوبى من الزاوية يحتوى على مدخل الزاوية ، الذى تقع فيه النافذة هو والباب المعقود والجدار الفاصل بين القسمين السابق الإشارة إليه وكذا محراب الزاوية على محور واحد . ويحتوى الجدار الجنوبى للمسجد من الخارج على حنية عميقة بعض الشئ تقع إلى الشرق من المدخل الرئيسى للمسجد . وفى اعتقادى أنها محراب خارجى يمكن استعماله إذا ما ضاق المسجد بالمصلين وصلوا فى الساحة التى تتقدمه .

وإلى جانب المحراب الخارجى من الجهة الشرقية توجد حنية مربعة الشكل ويحيط بالساحة التى تتقدم المسجد سور صغير يبلغ ارتفاعه متراً مكون من أربعة مداميك من الحجر الجيرى المأخوذ من الجبال المجاورة . ويحتوى السور على فتحتين أحدهما فى الضلع الجنوبى منه والثانى فى الضلع الغربى ، يصعد إليهما بمجموعة من الدرجات حيث إن المسجد على سطح جبل قريب من أسفله .

أما القسم الثانى الذى يقع إلى الشمال من الجزء الأول فيوجد فى وسط ضلعه

---

(١) العبدرى : بهجة المج فى بعض فضائل الطائف ووج ، عن مخطوطه (زيارة الطائف) لمحمد بن إسماعيل بن على بن أبى الصيف اليمنى (وهى مفقودة) .

الشمالى محراب المسجد . ويتكون المحراب من تجويف عميق نسبياً ويكتنفه حنيتان صغيرتان تقعان على محوز النافذتين فى الجدار الفاصل بين القسمين السابق الإشارة إليهما . وتوجد فى الضلع الغربى لهذا القسم نافذة معقودة . ويغطى المسجد سقف مسطح مكون من أعمدة وألواح خشبية حديثة الصنع . ويرتكز السقف على دعامة مربعة يبلغ طول ضلعها (٨٠ سم) وارتفاعها ثلاثة أمتار وهو ارتفاع جدران المسجد .

وعلى الجملة فإن المسجد بسيط وخلو من الزخرف ولكنه يحتوى على كل مقومات المساجد من الناحية المعمارية .

مسجد الخبّزة

ويقع هذا المسجد عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم أطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزة . ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عدّاس بطبق العنب[1] . ويعلق العجمى[2] على تاريخ المرجانى فيقول « وفيه نظر ، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم عمد إلى ظل حيلة من عنب فأتاه عداس بالطبق ، لكنه يحتمل أنه جلس فى ظلها ثم تحول إلى السدرة المذكورة .

ويضيف العجمى على ذلك فيقول : وخبر السدرة هذا إن صح دليل على أن البستان الذى عندها هو حائط ابن ربيعة الذى دخله صلى الله عليه وسلم . على أن هذه السدرة لم أجد (أى العجمى) من يعلمها ، ولعلها السدرة الموجودة بالمثناه عند العين ، فقد قيل إنها من عهده صلى الله عليه وسلم وان المسجد الذى عندها هو الذى جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عداس » .

ويقع المسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) فى بساتين فى وج عند أقدام (أم خبز) وهو مربع الشكل تقريباً يبلغ طول ضلعه (١٢) متراً . ويحيط بالمسجد من جهتين فقط

---

(١) تاريخ المرجانى .

(٢) العجمى : فى تاريخ الطائف ص ٨٣ (المتوفى سنة ١١١٣ هـ) .

صحن مكشوف الجهة الشرقية والجنوبيه ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار . ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول ضلعه تسعة أمتار . ويوجد المحراب فى الضلع الشمالى للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجى بمقدار متر تقريباً .

وهو مسجد جامع إذ يحتوى على منبر على يمين المحراب ، كما يحتوى على مئذنة تقع فى الركن الجنوبى الشرقى للجامع على يمين المدخل الرئيسى للجامع . وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهى بطاقية ، فهى بذلك تشبه طراز المآذن التى بنيت فى مصر واليمن فى القرن السابع الهجرى ، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر الأيوبى أو أوائل العصر المملوكى .

ويقع المدخل الرئيسى للجامع فى الضلع الجنوبى قريباً من الركن الشرقى للجامع ، ويعلوه عقد ذى ثلاثة فصوص ويعلو عتبه كتابة محصورة فى (بحر عريض) زالت الآن .

مسجد عدّاس

يقع على الأطراف الغربية لبساتين (وج) عند سفح جبل يقال له أبو الأخلية ، وكان فى الأصل معبداً لعداس . فلما أسلم ـ وهو كما نعلم أول من أسلم فى الطائف ـ أقيم مكانه مسجد عرف بمسجد عداس أو مسجد المثناه . وجاء فى تحفة اللطائف عند الحديث عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم « ومن المآثر أيضاً موقف (بوج) بالقرب من جبل يقال له قرين فى سفح جبل يقال له أبو الأخيله معبد لعدّاس ، وهو فى مسجد المثناه . وأثر الموقف ظاهر فى صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد عدّاس » .

والمسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) مسجد جامع إذ يحتوى على منبر إلى يمين المحراب كما يحتوى على مئذنة . والجامع مجدد حديثاً .

وإلى الغرب من مسجد عداس وبالقرب منه جامع آخر يقع على سفح جبل قرين يرجع إلى العصر العثمانى يطلق عليه مسجد المثناه .

مسجد بيعة العقبة
بمنى بمكة المكرمة

من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل حتى بعد حادثة الإسراء والمعراج ، يدعو إلى دين الله ويأمر به كل من لقيه ورآه من العرب إلى أن قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف من الأوس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فلم يرفض ولم يجب، ثم انصرف إلى يثرب وقتل فى بعض حروبهم [1] . كما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أبا الحيسر أنس بن رافع الذى قدم مكة فى فتية من قومه من بنى عبد الأشهل يطلبون الحلف [2] فقال رجل منهم اسمه أيانس بن معاذ وكان شاباً ، يا قوم هذا والله خير مما قدمنا له ، فضربه أبو الحيسر وانتهزه فسكت ، ثم لم يتم لهم حلف فانصرفوا إلى بلادهم .

وفى الموسم التالى للحج لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وهى موضع على يسار الطريق القاصد من منى إلى مكة ، ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج [3] فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال بعضهم لبعض ،

---

(١) كان قتله قبل يوم بعاث كما جاء فى ابن هشام نقلاً عن ابن أسحق جـ ٢ ص ٦٩ ، ابن عبدالبر فى الدرر ص ٧٠ (هامش رقم ٢) .

(٢) المقصود بالحلف هنا هو حلف قريش على بنى الخزرج خصوم الأوس قبيلتهم ، فقد كانت الحرب والمعارك قد اضطرمت بين القبيلتين .

(٣) كانت بينهم سيدة هى عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

هذا والله الذى تهددكم به اليهود فلا تسبقون إليه فأسلموا به وبايعوا . ثم أجابوا الرسول قائلين « إنا قد تركنا قومنا بيننا وبينهم حرب فننصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمعهم بك . فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك » وانصرفوا إلى المدينة ، فدعوا إلى الإسلام حتى فشى فيهم ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت هذه بيعة العقبة الأولى [1] سنة ٦٢١م .

وفى موسم الحج الذى يلى بيعة العقبة الثانية سنة ٦٢٢م خرجت جماعة كبيرة ممن أسلم من الأنصار يريدون لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى جملة قوم كفار منهم لم يسلموا بعد فوافوا مكة فواعدوا ، الرسول عند العقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما كانت تلك الليلة خرجوا فى ثلث الليل الأول متسللين من رحالهم إلى العقبة ، فبايعوا الرسول عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه . وحضر العباس عم الرسول ، العقبة تلك الليلة متوثقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤكداً على أهل يثرب ، وكان يومئذ على دين قومه لم يسلم .

وكان العباس أول من تكلم فقال : « يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وقد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له فيما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك . وإن كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه إليكم فمن الآن فدعوه » .

قال اليثربيون « سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فأجاب محمد صلوات الله عليه ، بعد أن تلا القرآن ورغب فى الإسلام :

---

(١) ابن عبد البر - (لدرر ص ٧٠) وقد سمى إبن هشام فى جـ ٢ ص ٧٣ العقبة الثانية باسم العقبة الأولى كأنه لم يعقد بالعقبة الأولى . وانظر أيضاً سعد جـ ١ ق ١ ص ١٤٧ ، الطبرى جـ ٢ ص ٣٥٥ ، صحيح البخارى جـ ١ ص ٨ ، جـ ٥ ص ٥٤ ، ابن حزم ص ٧١ ابن كثير جـ ٣ ص ١٥٠ ، إبن سيد الناس جـ ١ ص ١٥٦ ، النويرى جـ ١٦ ص ٣١٢ .

« أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فمد البراء بن معرور سيد قومه وكبيرهم يده على ذلك وقال : « بايعنا يارسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر » .

وكان المبايعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة أو البيعة الكبرى سبعين رجلاً وامرأتين .

وفى العام الذى يلى العقبة الأولى قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذين حضروا البيعة الأولى ، وبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء[1] ، ولم يكن أمر بالقتال بعد . فلما انصرفوا بعث الرسول ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام . فأسلم على يد مصعب خلق كثير من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون . ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة ، وهذه هى بيعة العقبة الثانية .

---

(١) تعقيب ابن عبد البر على هذه البيعة باسم بيعة النساء ، أى أنهم لم يبايعوه على القتال فهى بيعة كبيعة النساء حينئذ على الدخول فى الإسلام ص ٧٢ هامش (٥) تحقيق شوق حنيف .

وصف مسجد البيعة

يقع مسجد البيعة بقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة وراء العقبة فى شعب على يسار الذاهب من مكة إلى منى وكما كانت منى تقع إلى الشمال الشرقى من الكعبة المكرمة لذلك فإن حائط القبلة لمسجد العقبة يقع فى الضلع الجنوبى الغربى منه . وتجمع المراجع [1] التاريخية التى تناولت دراسة مكة المكرمة والمسجد الحرام . على أن مسجد البيعة سمى بهذا الاسم ، لوقوعه فى شعب العقبة حيث التقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل يثرب من قبيلتى الأوس والخزرج ، وتمت البيعات الثلاث على تفصيل ما سبق .

ونخص بالذكر بعض تلك المراجع التى أشرنا إليها ، بيعة العقبة الكبرى وهى التى تمت بحضرة العباس بن عبدالمطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام . وفى اعتقادنا أن هؤلاء المؤرخين إنما خصوا بالذكر البيعة التى حضرها العباس ، ذلك أنه لم يعن أحد بإقامة مسجد فى تلك البقعة قبل الدولة العباسية التى أرادت أن تبرز دور العباس ،

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة وما جاء بها من الآثار ـ تحقيق رشيد ملحس جـ ٢ ص ٢٠٥ ، محب الدين الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤ . ابن ظهيرة القرشى : الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ص ٣٣٣ . تقى الدين الفاسى : شفاء الغرام بأخبار بيت الله الحرام . قطب الدين الحنفى : كتاب الإعلام فى أعلام بيت الله الحرام . إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٢٧ . طاهر الكردى : كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم جـ ١ ص ٣٠٠ .

الذى تنتسب إليه واستمدت منه أحقيتها فى الخلافة ، فى توطيد أركان الدين الإسلامى بالمشاركة فى بيعة العقبة الكبرى التى كان لها أثر أى أثر فى تاريخ الدعوة الإسلامية .

ولعل المؤرخ الوحيد الذى أرخ لمسجد العقبة ووصفه وإن كان وصفاً موجزاً هو تقى الدين الفاسى[1] من علماء القرن التاسع الهجرى فقد توفى سنة ٨٣٢ هـ . فقد جاء وصفه ، أن المسجد بقرب العقبة التى هى حد منى من جهة مكة ويبلغ طوله (٣٨.١٦) ذراعاً[2] بذراع الحديد ، وأن به رواقين كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود . وإن له الجهة الشمالية والجهة الجنوبية . ويصف تقى الدين الفاسى حالة المسجد فى عهده أى فى القرن التاسع الهجرى فيقول : إن المسجد مُخَرب الآن وأن فيه حجرين مكتوب فى أحدهما (أمر عبدالله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقد عقده له العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه .

وفى الحجر الثانى كما يقول الفاسى ، تعريفه بمسجد البيعة وأنه بنى فى سنة ٢٤٤ هـ . ويؤرخ تقى الدين الفاسى لمنشئ هذا المسجد فيقول « وأمير المؤمنين المشار إليه هو أبوجعفر المنصور العباسى ، وعمره أيضاً المستنصر العباسى . ويؤكد الفاسى عمارة الخليفة المستنصر لمسجد البيعة فيقول « ووجدت ذلك فى حجر ملقى حول المسجد لتخربه وفيه أن ذلك (أى ذلك التعمير كان) سنة ٦٢٩ هـ .

ونحن إذ نتفق مع تقى الدين الفاسى على أن مسجد البيعة قد أنشئ فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء الدولة العباسية ، ومن المرجح أن يكون ذلك قد تم عندما جاء إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وبعد ما تمت العمارة التى أمر بها ببيت الله الحرام سنة ١٤٠ هـ أمر بإنشاء مسجد البيعة . أقول نحن لا نتفق مع الفاسى على أحد الحجرين الموجودين بالمسجد ، ذلك أن سنة ٢٤٤ هـ لا تقع فى حكم أبى جعفر

---

(١) ذراع الحديد : مقياس استعمل فى العصر الإسلامى ومقداره (٥٦.٥ سم) وعلى ذلك يكون طول المسجد فى القرن (٩) هـ (٢٠.٥) متراً تقريباً .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام .

المنصور بل تقع فى حكم الخليفة المتوكل . على أنه من الثابت أن الخليفة المتوكل لم يقم بعمل عمرانى فى المسجد الحرام أو فى مكة المكرمة ، الأمر الذى قد يرجح معه أنه قام بتعمير مسجد البيعة ، إذ من المتفق عليه أن الخليفة العباسى الذى قام بعمارة المسجد الحرام بعد الخليفة المهدى هو المعتمد العباسى سنة ٢٧١ هـ .

فقد ذكر باسلامه نقلاً عن الفاسى ، انه حدث فى عصر الخليفة المعتمد أن انهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد فلما رفع أمير مكة يومئذ هارون ابن اسحق ذلك الأمر إلى بغداد أمر الموفق بالله أخو الخليفة بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وقد تم ذلك فى سنة ٢٧٢ هـ وركب لوحين من الحجر فى جدار المسجد الحرام إلى جوار باب ابراهيم نقش عليها اسم الموفق ولى عهد المسلمين وتاريخ التعمير[1] سنة ٢٧٢ هـ . وقد ذكر قصب الدين[2] الحنفى أن الحجرين لا وجود لها فى عهده أى فى نهاية القرن العاشر الهجرى ذلك أن قطب الدين قد توفى سنة ٩٨٨ هـ . وقد ذكر قطب الدين أنه نقل الكتابة المنقوشة على الحجرين فى كتابة الإعلام من كتاب تاريخ مكة للإمام أبى عبد الله محمد بن اسحق الفاكهى .

ومن العمارات التى قامت بها الدولة العباسية ، هى زيادة دار الندوة[3] فى عهد الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ هـ ، فقد وصل إلى علم كتاب الخليفة الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب من سدنة الكعبة ، أن جدران الكعبة من باطنها قد تشعثت وأن الرخام المفروش فى أرضها قد تكسر ، وإن الذهب الذى كان يكسو عضاضتى والمصفح الذى به باب الكعبة من أسفل ومن أعلى قد أخذ وجعل بدلاً منه فضة مموهة بالذهب . فدفع ذلك كله إلى الخليفة وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة إليها ، فأمر الخليفة المعتضد بإجراء كل ذلك . وقد ذكر على[4] بن عبد القادر الطبرى تاريخ الفراغ من تلك العمارة بقوله « وفرغ من عمارتها فى ٢٨٤ هـ » .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، حسين عبد الله باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام (تحقيق عبد الجبار) ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) قطب الدين : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٥٣ .

(٣) الفاسى : جـ ١ ص ٢٣٢ . باسلامة : ٧٢ .

(٤) الحافظ نجم الدين : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ص ٧٦ .

أما آخر عمارة تمت فى عهد الدولة العباسية فهى زيادة باب إبراهيم ، فقد ذكر الحافظ نجم الدين فى حوادث سنة ٣٠٦ هـ ، وفيها زاد قاضى مكة يومئذ محمد بن موسى فى الجانب الغربى سبعة وخمسين ذراعاً إلا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة اثنان وخمسون ذراعاً وربع ذراع . ولكن لم يذكر الحافظ نجم الدين اسم الخليفة التى تمت فى عهده ، وإن كان قد ذكره قطب الدين ، فقال : ومن جملة محاسن الخليفة المقتدر بالله العباسى أنه زاد فى المسجد الحرام زيادة باب إبراهيم . ويؤيد هذا قول باسلامه فيقول : « هذا منتهى ما بلغت إليه زيادة المسجد الحرام من يوم ابتدأ بزيادته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى زيادة المقتدر بالله العباسى الذى تقدم ذكره (باب ابراهيم) . ثم يختم بإسلامه الإصلاحات والزيادات التى تمت فى العصر العباسى فيقول « وإلى هنا (أى سنة ٣٠٦) قد انتهى عمل خلفاء العباسيين فى عمارة المسجد الحرام من زيادة وانشاء فجزاهم الله تعالى عن حسن أعمالهم خير الجزاء »[١] .

من هذا السرد التاريخى الموجز لما تم من أعمال معمارية من زيادة وإصلاح وترميم يتضح لنا إن لم تذكر المراجع شيئاً عن أى عمارة قام بها خلفاء الدولة العباسية بعد أوائل القرن الرابع الهجرى سنة ٣٠٦ هـ . ومن ثم فإننا نقف فى حيرة أمام ما ذكره تقى الدين الفاسى عند حديثه عن مسجد البيعة إذ قال « وعمره أيضاً المستنصر العباسى ، ووجدت ذلك فى حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك سنة ٦٢٩ هـ » . وكل الذى يمكن أن نرجحه بالنسبة لهذه اللوحة التذكارية ، أن الخليفة المستنصر العباسى لم يقم بعمارة تذكر فى المسجد الحرام ، اللهم إلا عمارة الرخام فى الحرم المكى التى ذكرها الجزيرى[٢] فى عبارة مؤكدة ، فقال « وفى سنة تسع وعشرين وستمائة فى غالب الظن من قبل المستنصر العباسى » .

وفى اعتقادى أن تقى الدين الفاسى لولا رؤيته وقراءته للوحة التذكارية الملقاة حول المسجد والمسجل عليها اسم الخليفة العباسى وتاريخ التعمير سنة ٦٢٩ هـ لما حرص

---

(١) بإسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) عبدالقادر الأنصارى الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٠ .

على ذكر هذه العمارة أيضاً ، خاصة وأنه المؤرخ الوحيد الذى عنى عناية خاصة بوصف مسجد البيعة [1] .

وعند زيارتى لمسجد البيعة سنة ١٣٩٠ هـ / سنة ١٩٧٠ م وجدت أن مسجد البيعة ما يزال يحتفظ حتى الآن بلوحين تذكاريين أعتقد أنهما نفس اللوحين الحجريين اللذين رآهما تقى الدين الفاسى سنة ٨٣٢ هـ ولئن كنت أعتقد أنهما ليسا فى موضعهما الأصلى ، فقد وجدت أحدهما فى حائط القبلة من الخارج داخل إطار نافذة الحنية اليمنى للمحراب والآخر فى الضلع الجنوبى الشرقى للمسجد .

وصف اللوح الأول : لوحة رقم (١) :

يقع هذا اللوح فى الضلع الجنوبى الغربى لمسجد البيعة من الخارج ، أى فى ظهر جدار القبلة ، واللوح موضوع داخل عقد نافذة مسدودة فى الحنية اليمنى للمحراب المكون من ثلاث حنيات ، مما يدل على أن اللوح نقل من مكانه الأصلى ووضع فى المكان الخالى . ويبلغ مقاس اللوح ٩٣ سم × ٥٧ سم ، وقد حفر عليه حفراً بارزاً ، بالخط الكوفى البسيط ، **يرجع إلى القرن الثانى للهجرة فى خمسة عشر سطراً النص التالى :**

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم أمر عبد

٢ ـ الله عبدالله أمير المؤمنين أد (١)

٣ ـ مه الله ببنيان هاذا (كذا) المسجد

٤ ـ مسجد البيعة التى كانت أول بيعة

٥ ـ بويع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦ ـ وسلم أول عقد عقده الله فى إلا

٧ ـ سلم عقد عقده له العباس بن

٨ ـ عبدالمطلب تلك الليلة لرسول

٩ ـ الله صلى الله عليه وسلم على ألا تصادوا

---

(١) ذكرت هذه العمارة أيضاً فى مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٢٨ نقلاً عن الفاسى .

١٠ ـ هذا المسجد (و) أن تصدقوا رسو
١١ ـ ل الله صلى الله عليه وسلم بما جاهم به من الله وا
١٢ ـ ن تسمعوا له وتطيعوا وتمنعوه مما
١٣ ـ تمنعوا منه أنفسهم (كذا) وأبناءهم (كذا) أعظم
١٤ ـ الله أجر أمير المؤمنين على بنيانه وعمر
١٥ ـ ته اياه (و) ورسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللوحة الثانية : للوحة رقم (٢) :

١ ـ أمير أمر عبدالله عبدالله
٢ ـ أمير المؤمنين أكرمه الله
٣ ـ ببنيان مسجد البيعة لحاج
٤ ـ بيت الله المبارك على يدى
٥ ـ الحارثى بن عبيد (١٦) الله فى سنة
٦ ـ أربع وأربعين ومايه أعظم
٧ ـ الله أجر أمير المؤمنين وقـ
٨ ـ ـدر أمته (على) حمل (كلمته)
٩ ـ وأحمد عليه .

الوصف المعمارى للمسجد (شكل تخطيط ٩ ، ١١ ، ١١) :

يتكون المسجد من مستطيل تبلغ مساحته (٢٣) متراً طولاً فى (١٣٫٨) متراً عرضاً ، يتوسطه صحن مكشوف . ويحتوى على رواقين أحدهما موازٍ لحائط القبلة فى الجهة الجنوبية الغربية وتبلغ سعته (٤٫٦) متراً . ويتكون الرواق من أربع دعائم مربعة تقريباً إذ تبلغ مساحة كل منها (٨٦ × ٧٦ سم) تعلوها خمسة عقود مدببة . فيما عدا العقد الأخير من الجهة الشرقية ، فعقدة (ذو زاوية منكسرة) (Keel- areh) . ومن الواضح أن هذا العقد قد رمم أو قوى فيما بعد ، الأمر الذى جعله مخالفاً لباقى عقود هذا الرواق . ويبلغ ارتفاع هذه العقود عن أرضية المسجد أربعة أمتار تقريبا (لوحة رقم ٣)

أما الرواق الثانى فيقع فى نهاية المسجد موازياً للضلع الشمالى الشرقى ، وقد سقطت دعائمه وعقوده ولم يبق منه سوى شكل مصطبة ترتفع عن أرضية المسجد بمقدار ٢٥ سم تقريباً ويبلغ عرضها (٣.٦) متر. أما طولها فيبلغ (١١.٣) متر فقد قوى جانبيها الشرقى والغربى بجدران ساندة تبرز كل منها عن سمت جدران المسجد الجانبية بمقدار (١.٢٥) متر تقريباً .

وليس للرواقين الآن سقف اللهم إلا ارتفاع جدران الرواقين من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية بمقدار متر ونصف عن جدران الصحن (لوحة رقم ٣) . كما لا يوجد ما يدل على شكل هذه السقوف وإن كنا لا نستبعد ما ذكره تقى الدين الفاسى فى القرن التاسع الهجرى سنة ٨٣٢ هـ من أن كل رواق كان مغطى بأربعة قباب سقطت جميعها الآن ولم يبق لها أثر يمكن الاستدلال منه على شكلها ، كبداية أرجلها عند اتصالها بالدعائم أو مقرنصات الأركان أو شئ من هذا القبيل .

ويقع مدخل المسجد الآن فى الركن الجنوبى الغربى للمسجد ، يدخل منه إلى الرواق الموازى لحائط القبلة ، ومن الواضح أنه كان فى الأصل نافذة فتحت حديثاً لتحل محل الباب الأصلى خاصة وأنه يقابله فى الضلع المقابل أى الجدار الجنوبى الشرقى نافذة معقودة بعقد مماثل لعقد المدخل الحالى وفى نفس الرواق وقد سد جزء كبير منه ، ومن المرجح أن تكون الفتحتان المعقودتان اللتان فى الضلع الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى هما المدخلان الرئيسيان للمسجد .

ويؤيد هذا الترجيح ما ذكره الفاسى من أن للمسجد بابين فى الجهة الشمالية والجهة الجنوبية . وقد سددت هذه الفتحات لتصدع الجدران كما سدت النوافذ الموجودة فى الضلع الشمالى الشرقى للمسجد اللتان تفتحان على المصطبة الحالية .

ويتوسط جدار القبلة محراب عميق مكون من ثلاث حنيات المتوسطة منها أوسعها وتبرز عن سمت جدار القبلة من الخارج وعلى جانبيها حنيتان صغيرتان ، والحنايا الثلاث معقودة . ويحيط بهذا المحراب ذى الثلاث حنايا عقد كبير مدبب منفرج يرتكز على دعائم ساندة تبرز كثيراً عن جدار القبلة . ويكتنف هذا المحراب ذا الحنايا الثلاث ، حنيتان عميقتان تعلوهما عقود مدببة ترتكز على نفس الدعامتين

الساندتين السالف الإشارة إليهما . وقد فتحت فى هاتين الحنيتين نوافذ معقودة معظمها ولم يبق منها غير فتحات ضيقة غير منتظمة مما يدل على أنهما فتحتان حديثتان .

والمسجد مبنى من الحجر غير المشذب وقد كسيت الجدران بطبقة من الملاط الأبيض زال الكثير منها الآن . أما عقود النوافذ والفتحات وكذا الأروقة فمبنية من الآجر بشكل زخرفى جميل . ويبدو أن جدران المسجد كان يعلوها شرفات سقط معظمها ولم يبق منها غير شرفات حائط القبلة التى يبلغ عددها ثلاث عشرة شرفة بسيطة الشكل . وقد قوى جدار القبلة من الخارج من أسفل بدعامتين ساندتين مستديرتين شكل ٩ ، ١٠ ، ١١ .

مسجد قباء
بالمدينة المنورة

قال الله تعالى ـ فى سورة التوبة ـ :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وروى أن بنى عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء ، وبعثوا للنبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه ، فحسدهم إخوانهم بنو غُنْم بن عوف فقالوا : نبنى مسجداً ونبعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا فيصلى لنا كما صلى فى مسجد إخواننا ، ويصلى فيه أبو عامر إذا قدم من الشام ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله قد بنينا مسجداً لذى الحاجة والعلة والليلة والمطيرة ، ونحب أن تصلى لنا فيه وتدعو بالبركة .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنى على سفر وحال شغل فلو قدمنا لأتيناكم وصلينا لكم فيه » . فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه

وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد ، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشياً قاتل حمزة فقال : « انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه » فخرجوا مسرعين ، وأخرج مالك بن الدخشم من منزله شعلة نار ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه ، وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً : وهم خذام بن خالد من بنى عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الضرار ، ومعتّب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأذعر ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية ابن عامر وابناه مجمع وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، ويخرج ، وبجاد بن عثمان ، ووديعة بنت ثابت ، وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم .

قال أبوعمر بن عبدالبر : وفيه نظر ، لأنه شهد بدراً . وقال عكرمة سأل عمر بن الخطاب رجلاً منهم بماذا أعنت فى هذا المسجد ؟ فقال : أعنت فيه بسارية فقال : أبشر بها ! سارية فى عنقك من نار جهنم .

تقدم لنا أنه لما سمع المسلمون بالمدينة ، بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة أول النهار فينتظرون فما يردهم إلا حر الشمس ، فبعد أن رجعوا يوماً أو فى رجل من اليهود على أطمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُبَيِّضين فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا بنى قيلة ـ يعنى الأنصار ـ هذا جدكم ـ أى حظكم ـ الذى كنتم تنتظرونه فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم وكان له مربد ـ الموضع الذى يبسط فيه التمر ليجف ـ فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجداً ، وكان يعمل فيه بنفسه ، ولم يزل يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهل قباء ، وكان يؤمهم فيه معاذ بن جبل ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه .

وفى صحيح البخارى ، كان سالم مولى حذيفة رضى الله تعالى عنهما يوم

المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء فيهم أبوبكر وعمر .

ولما اعتراه الخراب فى خلافة عثمان بن عفان جدده وزاد فيه ، وبقى على ذلك إلى أن تولى عبدالملك بن مروان فزاد فيه أيضاً ولما بنى عمر بن عبدالعزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة فى جوفها عمد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفسيفساء وعمل منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله أروقة وفى وسطه رحبة ، وتهدم على طول الزمان حتى جدد عمارته جمال الدين الأصفهانى وزير « بنى زنكى » ببلاد الموصل ، وذلك فى سنة ٥٥٥ هـ . وجدد بعد ذلك سنة ٦٧١ إحدى وسبعين وستمائة هـ ، وجدد بعضه الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣ ثلاث وثلاثين وسبعمائة هـ ، وجدد غالب سقفه الأشرف برسباى سنة ٨٤٠ هـ ، وسقطت منارته سنة ٨٧٧ هـ ، فجددت فى سنة ٨٨١ هـ . وكذلك جُدِّدَ بعض جدره وسقفه وأنشئ إذ ذاك سبيل وبركة قبالة المسجد ، وقد عمر عدة مرات فى زمن الدولة العثمانية وآخرها كان فى مدة السلطان محمود الثانى ، وابنه السلطان عبدالمجيد ، وتاريخ عمارة الأول مكتوب على حجر فوق باب المسجد .

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى .

وعن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً ، ويصلى فيه ركعتين أخرجه الستة إلا الترمذى .

وروى مسلم أن عبدالله بن عمر كان يأتى قباء فى كل سبت ، ويقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت .

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خرج حتى يأتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له كعدل عمرة ـ أخرجه النسائى .

وروى الطبرانى ورجال ثقات عن الشموس بنت النعمان ، قالت : نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء . فرأيته

يأخذ الحجر أو الصخرة ، حتى يهصره أي يميله وأنظر إلى بياض التراب على بطنه وسرته فيأتي الرجل من أصحابه فيقول : بأبي وأمي يا رسول الله أكفيك ، فيقول : لا ـ خذ مثله ، حتى أسسه ويقول إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة ، قالت فكان يقال إنه أقوم مسجد قبلة .

ولعل هذا الحديث فى بناء غير البناء الأول بعد تحويل القبلة ـ فقد روى ابن شبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ورد قباء صلى بهم فى مسجد قباء إلى بيت المقدس ، ثم روى أنه صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال جبريل يؤم بى البيت .

وروى أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا وعبد الله بن عمر وسمرة بن جندب فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا : انطلق نحو مسجد التقوى فانطلقنا نحوه فاستقبلنا ويداه على كاهلى أبي بكر وعمر. الحديث .

وعن محمد بن المنكدر مرسلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان ، ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصلاً ، وفى كتاب عن ابن المنكدر : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبح سبعة عشر من رمضان ، وليحيى عن ابن المنكدر نحوه ، وهذا باقٍ إلى زماننا هذا ، ويقول الناس لذلك العمرة .

وعن أبي غزية قال : كان عمر بن الخطاب يأتي مسجد قباء يوم الاثنين ويوم الخميس فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يجد فيه أحداً من أهله فقال والذى نفسى بيده ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه وأبابكر ينقلان حجارته على بطونهما حيث يؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وجبريل عليه السلام يؤم به البيت ، ويحلف عمر بالله لوكان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف ، لضربنا إليه أكباد الإبل ، ثم قال : اكسروا لى سعفة ، واجتنبوا العواهن أى ما يلى القلب من السعف ، فقطعوا السعف ، فأتى بها ، فأخذ وذمة أى سيراً ، فربطها فمسحه فقالوا نكفيك يا أمير المؤمنين فقال : لا تكفونيه .

ولابن زَبَالة عن زيد بن أسلم قال الحمد لله الذى قرب منا مسجد قباء ولوكان بأُفُقٍ من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل .

ولابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت بسعد بن أبى وقاص ، قالت : سمعت أبى يقول لأن أصلى فى مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما فى مسجد قباء لضربوا إليه أكباد الإبل ، ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد : سمعا أباهما رضى الله عنه يقول : سمعنا أبا هريرة يقول : لأن أصلى فى مسجد قباء أحب إلى من أن أصلى فى بيت المقدس ، قال الحاكم . إسناده صحيح على شرطهما .

وللترمذى عن أسيد بن ظهير الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : الصلاة فى مسجد قباء كعمرة ، قال الترمذى ، وفى الباب عن سهل حنيف . وحديث أسيد حديث حسن غريب . .

وهناك كثير من الكتابات الموجودة بمسجد قباء وفيما يلى نصها : ـ

١ ـ نص قرآنى أعلى المحراب بحائط القبلة[١] :

بسملة . لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين[٢] .

٢ ـ حديث نبوى أعلى المحراب بحائط القبلة[٣] :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة .

---

(١) على بن موسى : وصف المدينة المنورة ص ٦ .

(٢) سورة التوبة آية (١٠٨) .

(٣) عبدالغنى الشهبندر : رحلة الحجاز ص ٤٣ .

٣ ـ نص أعلى المحراب المطّل على الصحن [١] :

بذا محل نزول الآية الفرقانية .
أسس آيتى ديرلر بوراده قليدى نزول .
قائم أول بونده كل أى مقتدى أثر رسول .

٤ ـ نص قرآنى أعلى باب المسجد :

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :
﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ .

٥ ـ نص تاريخى من ستة أسطر باللغة التركية العثمانية ترجمته على النحو التالى [٢] :

ويعلو هذا النص طغرة السلطان محمود الثانى وأسفل النص توجد طغرة لعلها للسلطان عبدالمجيد (صورة ١٢٥) : إمام المسلمين شاه جهان سلطان محمود خان : الخلافة مختصة بذاته والكرم عادة فى طبعه .

ولما بلغه نبأ خراب عمارة الجامع : أسرع بأمر حسن إعماره بهجة للصالحين .

وكما قيل فقد نزلت آية بتأسيس هذا المسجد : وإن تجديده لشاهد على قدر مجدده وصلاحه أدام الله هذا الجامع للعابدين الساجدين : وأدام بوجوده السيادة المطلقة للدين والدولة .

كتبت هذا التاريخ ساجداً حامداً الله : كان هذا المسجد خراباً فجدده السلطان محمود خان المذنب الراجى عفوه (عفو ربه) : مصطفى عزت غفر الله ذنوبهما ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) .

ومصطفى عزت هو المشرف على أعمال الإصلاح .
بو مسجد اولدى ويران ايلدى محمود خان آباد ١٢٤٥ هـ/١٨٢٩ م .

---

(١) نصوص تركية .
(٢) سورة التوبة آية (١٠٨) .

١ ـ نص على باب المدخل[٣٨] وبعد ذلك وجد أعلى محراب الكشف :

بسملة . ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (سورة ٩ « التوبة » ١٨) . أمر بعمارة مسجد قباء الشريف أبويعلى أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن رضى الله عنه ابتغاء ثواب الله وجزيل عطائه .. على يد الشريف حسن المسلم بن عبد الله بن مساك فى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (١٠٤١ م) .

٢ ـ نص أعلى محراب القبلة :

﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ (سورة ٣ « آل عمران » ٣٧) .

٣ ـ نص أعلى محراب الكشف، شرق المحراب ، فى حائط القبلة :

هذا محراب طاقة الكشف النبى عليه السلام .
طاقة الكشف نبى أولدى بو محراب علم .
(أقيم هنا محراب علامة طاقة الكشف) .
حضرته منكشف أولدى بورادن ارضى حرم .
(هنا انكشفت الأرض الحرم لحضرته) .

٤ ـ نص فى مكان مبرك الناقة :

النص العربى : هذا محل مبرك ناقة النبى صلى الله عليه وسلم .
النص التركى : مبرك الناقة در اسمى بو محل باكك .
(مبرك الناقة هو اسم هذا المكان المبارك) .
أولدى جولانكه قصواسى شه لولاكك .
(وأصبح ساحة لناقة الملك « محمد ») .

الوصف المعمارى

يتكون المسجد من مستطيل تحيط به الأروقة من جميع الجهات ، ويتوسطه صحن مستطيل . ويتكون إيوان القبلة من ثلاث بوائك ، تحتوى كل بائكة على ستة أعمدة تعلوها عقود نصف مدببة . ويعلو البوائك قباب ضحلة ترتكز على مثلثات كروية مقعرة (Spylirical Trairgle Pendentive) على الطراز العثمانى فى التغطية .

وبجدار القبلة يوجد المحراب ولكنه لايتوسط الجدار تماماً . ويعلو المحراب عقد دائرى على شكل حدوة الفرس الممتد . وقد كسيت صفح عقد المحراب بالرخام الأبيض والأسود ، ويرتكز المحراب على عمودين من الرخام .

ويقال إن المحراب بقى فى المكان الذى صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم فهو لايتوسط حائط القبلة تماما كما هو الحال فى عمارة المساجد وإلى اليمين من المحراب يوجد منبر من الرخام . وفى إيوان القبلة وخلف المحراب الموجود فى صحن المسجد توجد دكه المبلغ وهى من الخشب ومحمولة على أعمدة حجرية .

ويحتوى الضلع الشمالى من المسجد المقابل لإيوان القبلة على صفين من البوائك

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١١ .

تعلوها قباب ضحلة . أما الجهة الشرقية والغربية من المسجد فتحتوى كل جهة منها على صف واحد من البوائك التى تعلوها قباب ضحلة كذلك .

وتقع المئذنة فى الركن الشمالى الغربى ، وتتكون من ثلاث طبقات ، الأول مربع الشكل ، والثانى مثمن الشكل . ويفصل الطابق الثانى عن الأول شرفة تقوم على ثلاث حطات من الدلايات . أما الطابق الثالث فاسطوانى الشكل ، ويفصله عن الطابق الثانى شرفة كذلك تقوم على ثلاث حطات من الدلايات كذلك . أما قمة المئذنة فهى مخروطية الشكل على الطراز العثمانى .

مسجد القبلتين

وهو فى الشمال الغربى للمدينة فى رابية على شفير وادى العقيق الصغير ، والمسافة بينه وبين بئر رومة ـ بئر عثمان رضى الله عنه ـ التى فى شمالى المسجد مسيرة خمس عشرة دقيقة ، ولم يبق منه إلا بعض جدرانه [1] .

وممن عمره وجدد سقفه الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدم بالمسجد النبوى وذلك سنة ٨٩٣ هـ ، وجدده السلطان سليمان سنة ٩٥٠ هـ . وسمى بمسجد القبلتين لما رواه يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس ، قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاماً فأكل هو وصحبه ، ثم حانت صلاة الظهر فصلاها بأصحابه فى مسجد القبلتين ، ولما أن صلى ركعتين منها أمر أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار هو وصحبه إليها .

قال الزمخشرى : وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ـ واستقبل الميزاب ـ فهى القبلة التى قال الله تعالى : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فسمى من أجل ذلك بمسجد القبلتين .

وروى عن محمد بن جابر ما يخالف ذلك ، فإنه قال : صُرِفتْ القبلة ونفر من بنى سلمة يصلون فى المسجد الذى يقال له مسجد القبلتين ، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة .

---

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧٢ .

وفى رواية البراء بن عازب غسن البخارى فى ذكر قصة التحويل . فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار يصلون صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فأخبرهم أنه صلى مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وروى يحيى عن رافع بن خديج أن التحويل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الظهر .

وفى الصحيحين عن ابن عمر ، قال : بينما نحن فى صلاة الصبح بقباء جاءنا رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه قرآن وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة ـ ألا فاستقبلوها ، وكانت قبلة الناس إلى الشام ، فاستداروا وتوجهوا إلى الكعبة .

قال سعيد بن المسيب : وكانت الصلاة إلى بيت االمقدس سبعة عشر شهراً ، وهذه الروايات تفيد فى مجموعتها تعدد الصلاة التى حولت فيها القبلة ، وتعدد المساجد التى حولت القبلة فيها أثناء الصلاة وعلى هذا فلا معنى لتخصيص مسجد بنى سلمة بهذه التسمية ـ اللهم إلا أن نقول ، ما قاله الحافظ ابن حجر من أن التحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة الظهر وأول صلاة بالمسجد النبوى العصر ، فحينئذٍ يكون مسجد بنى سلمة أولى بالتسمية لأنه أول مسجد صليت فيه صلاة واحدة إلى القبلتين وحصل ذلك بعده فى عدة مساجد .

ومن الطبيعى أن يكون المسجد قد جدد على مر الزمن إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر أحداً بعينه اللهم إلا السلطان قيتباى ، الذى أمر شيخ خدام الحرم النبوى الشجاعى شاهين الجمالى بتجديد مبانى مسجد القبلتين ورفع سقفه وذلك (٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م) .

ثم أصلح وجدد فى العهد العثمانى ، فقد أمر السلطان سليمان القانونى خادم الحرمين بتجديده وذلك[1] (٥٩٠ هـ/١٥٤٣ م) .

---

(١) الورثيلانى : نزهة الأنظار ص ٤٧٥ .

الوصف المعماری لمسجد القبلتين

يقع المسجد على هضاب حرة الوبرة فى الطرف الشمالى الغربى للمدينة المنورة . ويتكون المسجد من بناء مستطيل يشغل منه رواق القبلة الذى يحتوى على ثلاث بوائك موازية لحائط القبلة .

وتتكون كل بائكة من ثلاثة أعمدة تحمل عقوداً مدببة ممتد (Stilted Pointedarch) وتقسم بوائك إيوان القبلة إلى ثلاثة أروقة . ويتوسط حائط القبلة محراب مجوف ذو عقد مدبب زالت معظم زخارفه ويحيط بالمسجد رحبة كبيرة يصعد إليها بدرج من الطريق من جهته الغربية . وفى الركن الشمالى الشرقى توجد مئذنة المسجد وهى حديثة البناء .

مسجد الجمعة

كان هذا المسجد فى الأصل واقعاً فى منازل بنى سالم من الأنصار . أما اليوم فهو فى وسط صفصف خال ، وفى جهته الشرقية بعض أشجار الطرفاء ، وفى جهته الغربية أرض جرداء ، وفى جهته الجنوبية بستان ، وكذلك فى جهته الشمالية [١] .

ومسجد الجمعة من المساجد المأثورة ، ويكفيه أنه أول مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس [٢] .

فقد سلف لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه من قباء أدركته الجمعة فى بنى سالم فصلاها فى بطن الوادى ـ وادى رانوناء ، وكانت أول جمعة صلاها فى المدينة [٣] .

يقع هذا المسجد فى بطن وادى رانوناء شرقى الطريق المستحدث إلى مسجد قباء ، ويراه سالك هذا الطريق إلى قباء عن يساره فى وهدة من الأرض ، وذلك قبيل بستان الجزع [٤] .

---

(١) وفاء الوفاء جـ ٣ ص ٨١٩ .

(٢) العباسى : عمدة الأخبار ص ١٧٠ .

(٣) المطرى ص ١٦٤ .

(٤) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ١٦٣ .

وطول مسجد الجمعة هذا ثمانية أمتار فى عرض أربعة أمتار ونصف المتر وارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر ، وهو مبنى بالحجارة المطابقة بناءً جيداً ، وله قبة واحدة مبنية بالطوب الأحمر وبالجير ، فى داخلها من العلو أربع فتحات ، ترسل إليه النور والهواء ، وله حظيرة فى شماله طولها ثمانية أمتار فى عرض ستة وارتفاع جدارها متران[١]

وعلى جانبى بوابة المسجد التى هى عبارة عن عقد مفتوح بغير مصراعين ـ حجران من الرخام الأبيض مستطيلان مثبتان فى الجدار ، مكتوب عليهما العبارة الآتية :

« أمر ببناء هذا المسجد المبارك مولانا أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر السلطان بايزيد بتاريخ شوال سنة   » .

والسلطان بايزيد هذا من سلاطين آل عثمان وتولى السلطنة ما بين عامى ٨٨٦ هـ و٩١٨ هـ . ومن هذه العبارة نستطيع أن نعرف أن عمارة مسجد الجمعة الحالية مضى عليها الآن ما يزيد على أربعة ، قرون ونصف[٢] . على أن مسجد الجمعة جدد عدة مرات أو أعيد بناؤه كما تذكر ذلك بعض المصادر[٣] . فقد جدد فى العهد العباسى على يد أمير المدينة عبدالصمد[٤] سنة ١٥٦ هـ وذلك فى خلافة أبى جعفر المنصور .

ويصف لنا المطرى[٥] مسجد الجمعة فى القرن الثامن الهجرى فيقول ، إنه مسجد صغير جداً مبنى محاط بالحجارة قدر نصف القامة .

ويعطينا السنهورى[٦] وصفاً دقيقاً لمسجد الجمعة كما رآه فى أوائل القرن العاشر للهجرة ، فيقول ، إنه عبارة عن طوله من الشمال إلى الجنوب (٢٠) ذراعاً وعرضه

---

(١) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧١ .

(٢) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧٢ .

(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٨٤٠ ، أحمد البرادعى : المدينة المنورة ص ٨٥ .

(٤) عمدة الأخبار ص ١٨٠ .

(٥) العياشى ص ٦٩ .

(٦) المطرى : التعريف بما انست به دار الهجرة ص ١١٩ .

من الشرق إلى الغرب (١٦,٥٠) ذراع . ويتكون من رواق بسقف مستوى ، ينفتح فى الجهة الشمالية على رحبة عن طريق قوسين بينهما عمود فى المنتصف . ويضيف السمهودى فيقول ، أن الذى جدد مسجد الجمعة من المسلمين غير العرب .

ويستطرد السمهودى[(١)] فى حديثه عن مسجد الجمعة فيقول : إن سقف المسجد قد خرب فجدده الخواجا شمس الدين قاوان .

ويحدثنا السخاوى[(٢)] عن ترجمة حياة الخواجا شمس الدين ، فيقول هو الخواجا محمد بن أحمد الشمسى المعروف باسم ابن قاوان[(٣)] ، نزيل مكة ، توفى فى سنة ٨٨٩ هـ ، ودفن بالمعلاة بمكة[(٤)] .

وقد ثبت على حائط المسجد لوحين من الرخام نقش عليهما النص الآتى :

أمر ببناء هذا المسجد المبارك الجمعة مولانا أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر (سليمان خان ابن السلطان بريد ، بتاريخ شوال سنة) . وقد حكم السلطان بايزيد ما بين (٨٨٦ هـ ــ ٩١٨ هـ) ثم جدد مسجد الجمعة فى القرن الرابع عشر للهجرة السيد حسن الشربتلى[(٥)] .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٨٤٠ .

(٢) التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٣١٩ .

(٣) الضوء اللامع جـ ٧ ص ٥٤ .

(٤) عبدالقدوس الأنصارى ص ١٣٧ .

(٥) على حافظ : فصول فى تاريخ المدينة المنورة ص ١٢٦ .

الوصف المعماري لمسجد الجمعة

يتكون المسجد من إيوان للقبلة ورحبة ، ويبلغ طول إيوان القبلة (٨) أمتار وعرضها (٤,٥) متر وارتفاعه (٥,٥) متر . وينقسم إيوان القبلة إلى ثلاثة أقسام بواسطة عقدين مدببين عموديين على حائط القبلة . ويغطى الجزء المتوسط من إيوان القبلة وأمام المحراب ، قبة تقوم على مقرنص فى كل ركن من أركان المربع الذى تحتها . وتقوم القبة على رقبة (Drum) فتحت بها أربع نوافذ صغيرة معقودة بعقد نصف دائرى .

أما الرحبة التى يفتح عليها إيوان القبلة فتبلغ مساحتها (٨×٦) أمتار وارتفاع سورها (٢) متراً .

ومن المرجح أن تكون عمارة المسجد الحالية من العصر العثمانى ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خبراً مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[1] .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الإسلام ، والطريق العظمى هى المعروفة بدرب السويقة والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهى ضعف تلك فى المسافة وسور المدينة الآن يمنع سلوكها .

---

(١) البخارى : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر.

ولم تتحدث المصادر عن شكل مبنى المسجد المسقط ، بل إن العديد منها لم يشر إلى المسجد إطلاقاً . وكان السمهودى [1] أول من تكلم عن المسجد بإسهاب ، وإن كان يتساءل عن أصل بناء المسجد فيقول : « وعمارته الموجودة اليوم لا أدرى لمن تنسب » .

ويشير السمهودى بعد ذلك إلى تجديد المسجد فى عهد السلطان المملوكى البحرى حسن بن قلاوون مدعماً ذلك بنص تاريخى كان موجوداً على زمنه بأعلى باب المدخل . « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهابه (!) عزالدين شيخ الحرم النبوى الشريف وذلك فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحى » [2] .

ولقد كان ذلك التجديد قبل عام ٧٦١ هـ/١٣٦٠ م وهو تاريخ وفاة شيخ الحرم عزالدين ويتضح من ذلك النص أن المسجد لم تنله يد الإصلاح قبل ذلك ، ولعل وجوده فى حالة خربة كان داعياً لعدم الإشارة إليه فى كتابات المدينة المنورة .

وقد أجريت إصلاحات بالمسجد فى عهد السلطان المملوكى الجركسى إينال على يد برديك المعمار [3] ، وأضاف السمهودى أن برديك عمل منصة (دكة) خراج المسجد أمام الباب خصصت لجلوس المبلغين وذلك عام ٨٦١ هـ/١٤٥٧ م .

ويقول إبراهيم رفعت :

ورممه الأمير برديك المعمار سنة ٨٦١ هـ . فى دولة الأشراف إينال وأحدث سقفاً خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجاً خارجه على ميمنة الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب أما المسجد الآن فإنه ذو قباب ثمانية ومبنى بناءً متقناً بالآجر الأسود .

---

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٨٣٥ .

(٢) هو بردك التاجى الأشرفى برسباى ، أمير عشرة ولى بمكة فى عهد الظاهر حقمق (٨٤٢ هـ) نظر الحرم وشاد العمائر ، ثم أرسل ٨٦١ هـ فى عهد السلطان اينال لعمل إصلاحات بالحرم النبوى (السخاوى . الضوء اللامع جـ ٣ ص ٦ ، أبوالمحاسن جـ ١٤ ص ٢٢٩) لعل ذلك تم فى آخر أيام الناصر محمد بن قلاوون عندما استتب له الأمر فى السلطنة وذلك سنة ٧٦٣ هـ .

(٣) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٢١ .

انظر والذى بجواره مسجد عثمان والمنزل ذو الرواشن الذى باليمين لأمين أفندى يرى شيخ الفراشن بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين .

ويرجع الإنشاء العثمانى الحالى إلى عمارة السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٥٥ - ٧٧ م/ ١٨٣٩ - ٦١ م) وقد كان ذلك قبل عام ١٢٦٨ هـ/١٨٥٢ م وقد أشار إلى ذلك الإنشاء عبدالقدوس الانصارى[٢] وقرأ النص التاريخى المحفور على لوح خشبى كان مثبتاً على حائط القبلة (غير موجود حالياً) :

بسملة ﴿ إنما يعمر[٢١] مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ اللهم شفع النبى فى مجدده السلطان عبدالمجيد خان عز نصره .

ثم جدد بعد ذلك فى العصر السعودى ، ولعل ذلك كان عام ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣ - ٤ م ، وهو تاريخ مسجل على ضلفتى الباب عن يمين الباب الأوسط :

بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقى إلا بالله . النجار عطا ٧٣ (١٩٥٣ - ٤ م)
كذلك يوجد على الجزء العلوى من الأبواب الجانبية بالواجهة الشمالية الآية الكريمة :
الضلفة اليمنى : بسم الله الرحمن الرحيم ، الضلفة اليسرى : أدخلوها بسلام آمنين .

---

(٢) عبد القدوس الأنصارى ص ١١٩ .

(٣) سورة التوبة آية (١٨) .

الوصف المعمارى لمسجد المصلى أو الغمامة

يتكون المسجد من مستطيل يبلغ طوله (٢٦) متراً وعرضه (١٣) متراً وارتفاعه عن مستوى الأرض (١٢) متراً . وينقسم المسجد إلى قسمين ، إيوان القبلة والمدخل ذو السقيفة (Portico) .

ويشغل إيوان القبلة مستطيلاً طوله ٢٦ × ٩ يحتوى على إيوانين موازيين لحائط القبلة . ويغطى كل إيوان ثلاثة أقباء تقوم على عقود مدببة وعلى أربعة مقرنصات فى الأركان وبين كل قبتين يوجد أقباء متقاطعة (Cross - Vaults) .

أما المدخل ذو السقيفة (Portico) الذى يتقدم إيوان القبلة فينقسم إلى خمسة مربعات تتقدمه أربع دعائم . ويغطى سقف السقيفة خمس قباب مختلفة الأحجام ، أكبرها تلك التى تقع بجانب الضلع الشرقى والغربى وتتدرج القباب فى الصغر حتى القبة الوسطى العمودية على محراب إيوان القبلة .

ويتقدم المدخل ذو السقيفة ساحة مكشوفة تنتهى بخمس درجات تحيط بالساحة من جهاتها الثلاث خمس درجات .

ويتكون المحراب من حنية ذات سبعة أضلاع ويعلوه عقد مفصص ويكتنفه عمودان ملتصقان تيجانهما على شكل ناقوس . وإلى اليمين من المحراب يوجد المنبر الرخاص . ويتكون المنبر من تسع درجات تنتهى بجلسة الخطيب التى تنتهى من أعلى

بقبة مخروطية . ويتقدم المنبر ضلفتا باب من الخشب عليه كتابة عبارة عن جملة دعائية باللغة التركية ، كما يوجد على عتب المنبر السورة القرآنية الآتية[1] :

« إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » ويعلو ضلفتى المنبر العبارة الآتية : هذا من فضل ربى .

أما المئذنة فتقع فى ركن المبنى وتتكون من ثلاثة طوابق السفلى منها مربع بارتفاع حائط المسجد ، والطابق الثانى مثمن ، وينتهى بشرفة لها درابزين من الخشب . ويعلو المثمن طابق أسطوانى به باب الخروج إلى الشرفة المذكورة . وتنتهى المئذنة بقبة منخفضة مشكلة بهيئة فصوص يعلوها فانوس ويتوجها هلال .

(١) سورة النمل آية (٣٠) .

مسجد عبدالله بن العباس
بالطائف

ولأهل الطائف اعتزاز كبير بوجود قبر ومسجد عبد الله بن العباس فى أرضهم . ولا غرو فابن عباس علم من أعلام الإسلام فهو كما وصفه علماء[1] الفقه والشريعة ، الحبر البحر ترجمان القرآن ، مفسر الصحابة وعالمهم بدقائق كلام الله تعالى . ولد عبدالله بن العباس بشعب بنى هاشم حين حصرهم قريش قبل الهجرة بثلاث سنين ، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن فى أُذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ومسح رأسه وضمه إليه وسماه عبدالله وأخبر أنه من خيار هذه الأُمة ودعا له بالفقه والحكمة والعلم بكتاب الله تعالى وتأويله وأن يزيده فهماً وعلماً ويبارك فيه وينشر منه ويجعله من عباده الصالحين . وهو أحد الستة المكثرين للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصحاب الألوف فى الحديث وهم أبوهريرة وابن عامر وجابر وابن عباس وأنس وعائشة[2] .

وقد كان لابن عباس عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة أو خمس عشرة سنة فروى عن جماعة من الصحابة وَروَى عنه منهم جماعة : منهم أنس بن مالك وأبو إمامة بن سهل وخلق من التابعين[3] . وكان سعد بن أبى وقاص يقول عنه

---

(١) الشيرازى ص ٤٨ ، الإصابة لابن حجر جـ ٢ ص ٣٣١ ، المجمع : نور الدين الهتيمى جـ ٩ ص ٢٧٦ ، أحمد والطبرانى بأسانيدهما .

(٢) صحيح البخارى جـ ٣ ص ٤٩ (باب غزوة الطائف) .

(٣) العجيمى : من أخبار الطائف ص ٦٢ .

ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا أكثر علماً ولا أوسع حلماً من ابن عباس رضى الله عنهما ويضيف سعدٌ فيقول ولقد رأيت عمر رضى الله عنه يدعوه للمعضلات فيقول قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر أنت لها ولأمثالها[1] .

وكان على رضى الله عنه يقول فى ابن عباس : إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته[2] . وقد أمَّره على بن أبى طالب على البصرة فكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاة وزياد بن أبى سفيان على الخراج وكان أهل البصرة مضبوطين به يفقههم ويعلم جاهلهم ويغلِّظ مجرمهم ويعطى فقيرهم[3] . ثم فارق عارق عبدالله بن عباس البصرة بعد مقتل على رضى الله عنه .

وعاش ابن عباس بعد على رضى الله عنهما خمسة وثلاثين عاما متفرغاً لنشر العلم وكان يقول أنا من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويله[4] وفى ذلك يقول الذهبى : « روى أنه لم يكن على وجه الأرض فى زمانه أحداً أعلم منه » ويقول مسروق[5] : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس وإذا نطق قلت أفصح الناس وإذا تحدث قلت أعلم الناس[6] وقال طاووس[7] : « أدركت خمسين أو سبعين صحابياً إذا سُئلوا عن شئ فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت أو صدقت »[8] .

وكان ابن عباس رضى الله عنه أبيض الوجه وسيماً جسيماً مشرباً بصفرة طويلاً صبيح الوجه له فروة خضبت بالحناء . وكان رضوان الله عنه يلبس الخز ويعمم بعمامة سوداء يرخيها شبراً . وقال ابن[9] عطاء فى وصفه : « ما رأيت القمر ليلة البدر

---

(1) شذران الذهب جـ ١ ص ٧٥ .

(2) الإصابة جـ ٢ ص ٣٣٢ .

(3) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣٠٤ .

(4) المرجع السابق جـ ٨ ص ٣٠٣ .

(5) مسروق بن الأجدع الهمدانى تابعى توفى سنة ٦٣ هـ .

(6) الإصابة جـ ٢ ص ٣٣٣ ، البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣٠٢ .

(7) طاووس بن كيسان اليمانى تابعى توفى سنة ١٠٦ هـ .

(8) الإصابة جـ ٢ ص ٣٣٣ .

(9) عطاء بن أبى رباح تابعى بن رجال الحديث توفى سنة ١١٤ هـ .

إلا تذكرت وجه ابن عباس رضى الله عنهما » . وكان جواداً كريماً متواضعاً صبوراً على الأذى يصوم الاثنين والخميس ولا يترك قيام الليل حتى فى السفر. قال ابن أبى مليكة[1] : « صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فإذا نزل قام شطر الليل فيرتل القرآن ويكثر من النحيب » وعن أبى[2] رجاء : قال : « رأيت ابن عباس وأسفل عينيه مثل الشراك البالى من البكاء » .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يجلس فى كل يوم لنوع من العلوم وكان يقول مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة . **وقد كفَّ بصره رضى الله عنه فى آخر عمره وكان ينشد :**

أن يأخذ الله من عَينيَّ نورهما ... فنى لسانى وقلبى منهما نور
عقل صحيح ورأيى غيرذى خلل ... وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقد خرج ابن العباس رضى الله عنهما من مكة عندما دب الخلاف بين عبد الله بن الزبير وبين الدولة الأموية عندما رفض ابن الزبير مبايعة يزيد بن معاوية وطلب الخلافة لنفسه . فجاء ابن الزبير إلى ابن عباس وطلب منه مبايعته ولكن ابن عباس توقف عن المبايعة وقال : لا أبايعك حتى تجتمع البلاد وتتفق الناس .. فغضب ابن الزبير وأخرج ابن العباس من مكة فذهب إلى الطائف فسكنها وبقى بها حتى توفى سنة ثمان وستين وقيل سنة إحدى وسبعين[3] . وقد خرج لهذا السبب أيضاً محمد بن الحنفية[4] بن على بن أبى طالب وتوفى وقبره بالطائف كذلك سنة إحدى وثمانين للهجرة وقيل ثلاث وثمانين وقيل سنة اثنين أو ثلاث وتسعين[5] .

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشى قاضى مكة زمن ابن الزبير توفى سنة ١١٧ هـ .

(٢) أبو رجاء عمران بن ملحان البصرى العطار ذى تابعى توفى سنة ١٠٥ هـ .

(٣) تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٤٠ .

(٤) أمة خولة بنت جعفر بن ذرية حنفية بن لجين (عن وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٣١٢) .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازى ص ٦٢ .

المسجد العباسى

هو أكبر مساجد الطائف ومن أقدمها بُنى مكان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذى أقيم بعد غزوة الطائف بعد فراغ النبى صلى الله عليه وسلم من حنين فقد ترك عليه الصلاة والسلام بقرب الطائف[1] بواد يقال له العقيق فتحصنت ثقيف فى حصونهم التى لا حصون مثلها فى حصون العرب فحاصرهم النبى عليه الصلاة والسلام بضعاً وعشرين ليلة وكان معه عليه السلام امرأتين من نسائه هما : أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طوال حصاره الطائف .

وفى ذلك الموضع أقيم أول مسجد بالطائف الذى تولى بنيانه عمرو بن أميه بن وهب ابن معتب بن مالك الثقفى لما أسلمت ثقيف ذكره أهل السير وقالوا : «كانت فيه سارية لا تطلع الشمس عليها مدى الدهر الآَّ أياماً »[2] ويضيف العجيمى[3] على ذلك فيقول : « وقد فُقدت هذه السارية بل لم يُر ذاكراً لها أو متحدثاً عنها » . وقد ذكر تقى الدين[4] الفاسى إن أول من عَمرَّ مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام

---

(١) انظر فى غزوة الطائف ابن هشام جـ ٤ ص ١٢١ ، الواقدى ص ٤٢٢ ، ابن سعد جـ ٢ ص ١١٤ وصحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ ص ١٢٢ ، البخارى جـ ١٢ ص ١٢٢ ، سنن ابن داود جـ ٢ ص ٢٨ ، الطبرى جـ ٣ ص ٨٣ ، ابن حزم ص ٢٤٢ ، وابن سيد الناس جـ ٢ ص ٢٠٠ ، النويرى جـ ١٧ ص ٣٣٥ . ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٥ .

(٢) ابن هشام جـ ٢ ص ٤٨٣ .

(٣) العجيمى : من أخبار الطائف ص ٦٠ .

(٤) تقى الدين : شفاء الغرام جـ ١ ص ٩٠ .

بالطائف هى السيدة زبيدة بنت جعفر ابن أبى جعفر العباسى وأنه وجد (أى فى القرن التاسع الهجرى) بخارج الجدار القبلى من المسجد العباسى حجراً مكتوباً فيه :

(أمرت السيدة أم جعفر بنت أبى الفضل أم ولى عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف وذلك سنة اثنين وتسعين ومايه) . وبجوار مسجد الرسول قبتان مبنيتان فى موضع خيمتى زوجتى الرسول صلى الله عليه وسلم السالف الإشارة إليهما وهما : زينب وأم سلمة رضى الله عنهما وقد ذكرهما المؤرخون حتى القرن السابع للهجرة الآ أنهم لم يتعرضوا جميعاً لذكر اسم بانيهما [1] .

فلما توفى شهداء غزوة الطائف رضى الله عنهم وهم اثنا عشر رجلاً ، سبعة من قريش : سعد بن سعيد بن العاص وعطرفة وعبدالله بن أمية بن المغيرة وعبدالله بن عامر بن ربيعة والسائب وعبدالله بنا الحارث بن ربيعه وحليمه بنت عبدالله . وأربعة من الأنصار وهم : ثابت بن الجذع والحارث بن سهيل بن أبى صعصعة والمنزر بن عبدالله ورقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد ، وواحد من ثقيف وهو عروة بن مسعود الثقفى قتلته ثقيف مسلماً ، دفن جميعُهم عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين .

فلما توفى ابن العباس سنة ثمان وستين دفن بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره ، كما دفن محمد بن الحنفية . وقد أقام على قبر ابن العباس الخليفة العباسى المقتضى لأمر الله فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة (٥٤٧ هـ) بنياناً وقد أثبت هذا فى لوحة من الخشب رآها المرجانى [2] فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة . ويتكون بنيان القبر الذى أمر بعمله الخليفة المقتنى لأمر الله من بناء يبلغ طوله ستة أمتار وعرضه بطول القبر عشرة أشبار وارتفاعه عن الأرض ثلاثة أشبار وقد كُسىَ القبر بخشب الساج .

وقد جَدّد بناء هذه المقبرة وأقام عليها قبة الخليفة العباسى أحمد بن المستضئ بأمر الله الحسن بن المستنجد العباسى . وتقع هذه القبة فى الركن الأيمن القبلى من المسجد .

---

(١) ابن فهد : تحفة اللطائف ص ٦٧ .

(٢) العجيمى : فى أخبار الطائف ص ٦٧ .

وأول من بنى مسجد العباس المجاور لقبتة ولمسجد الرسول والآثار النبوية وكذا مقابر الصحابة وشهداء غزوة الطائف هو الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضئ[١] . ويؤيد ابن فهد[٢] هذه الرواية بقوله انه شاهد بخط العلامة قاضى الحنفية رضى الدين أبى حامد محمد بن أحمد بن ضياء القرشى أنه وجد مكتوباً على القبر فى المسجد الشريف (يعنى مسجد عبدالله بن العباس) ما صورته : « أنه عمل باسم المستضئ بأمر الله العباس سنة اثنين وتسعين وخمسمائة » (٥٩٢ هـ) .

وقد جددت أروقة المسجد وجدرانه بعد ذلك ولكنها كانت عمارة ضعيفة ، الأمر الذى جعل الملك المظفر يوسف بن رسول صاحب اليمن يعيد تجديد عمارة المسجد وعمارة القبة والمنارة كذلك كما تدل على ذلك الكتابة الموجودة على باب القبة والتى جاء فيها : « آمر بتجديد ما نقب (أو تعب) من هذا المسجد من المنارة وغيرها الملك المظفر فى سنة خمس وسبعين وستمائة »[٣] .

ثم توالت يد التجديد والترميم والإضافة إلى مسجد عبدالله بن العباس خلال العصور فقد ذكر العجيمى[٤] الذى جمع تاريخ هذا المسجد أنه وجد بخط الشيخ محمد الخادم المشهور (بعمامة) أنه فى عام سبعة وأربعين بعد الألف أمر أمير الحاج المصرى رضوان بك بتبييض قبة سيدنا عبدالله بن العباس رضى الله عنهما وبناء المنارة الموجودة الآن على باب المسجد (أى فى سنة ١١١٣ هـ) وبذل فى ذلك مالاً ، والقائم على ذلك شركس بن عبدالملك الشاووس الطائفى حاكم الطائف والنائب عنه أحمد بن عيسى أبوحنين الخادم والمعلم أحمد بن سواكن من أهل مكة وكان الفراغ من عمارته فى شهر ذى القعدة الحرام من السنة المذكورة .

ثم جدد عمارة المسجد وجدرانه وأروقته الأربعة على ماكان عليه الشريف زيد بن محسن بن الحسن بن أبى نمى سنة إحدى وسبعين بعد الألف وكان القائم على تلك

---

(١) تاريخ المرجانى ، تقى الدين الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ٩٠ .

(٢) ابن فهد : تحفة اللطايف فى فضائل الجبر ابن عباس ووج والطائف ص ٦٥ (توفى ابن فهد سنة ٩٥٤ هـ) .

(٣) تحفة اللطايف ص ٦٥ .

(٤) العجيمى : من أخبار الطائف ص ٧٤ .

العمارة القائد أحمد بن ريحان حاكم الطائف . وقد كانت القبور قد زادت وكثرت حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، لذلك أمر الشريف زيد بن محسن ببناء جدار فى مؤخر المسجد يفصل بينه وبين القبور ، كما نهى الشريف عن الدفن فيه .

ويقول ابن فهد [1] وليس بهذا المسجد جمعة ولا جماعة والظاهر أنهما كانا فيه قديماً لوجود المنبرية ويضيف على ذلك فيقول (فإنى لما زرت الطائف فى المرة الأولى سنة خمس عشرة وتسعمائة لم أر بها جمعة ثم زرتها مرة ثانية فى السنة التى بعدها فوجدت الجمعة فى غير المسجد الكبير الذى فيه قبر سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما وذلك لأنه منفرد عن القرى وسط البرية ويصعب على أهل البلاد التوجه إليه لبعده عن بعضهم وكونهم لا يسمعون النداء فلله الأمر من قبل ومن بعد) .

واستمر انقطاع الجمعة بالمسجد العباسى إلى سنة أربع وخمسين وألف حين جاء إلى الطائف الشريف زيد بن محسن صاحب مكة فى جمع من أهل مكة وأعيانها بحيث ضاق عليهم مسجد الجمعة الكائن بقرية السلامة فأمر بإقامتها فى مسجد سيدنا عبدالله بن العباس رضى الله عنهما ، فأقيمت فى ثالث جمادى الأول من السنة المذكورة . وفى سنة خمس وستين أمر الشريف زيد الشيخ حنيف الدين المرشدى مفتى مكة بمباشرة خطبة عيد الفطر مباشرة على أسلوب خطباء العيد بمكة وأمر بذلك أيضاً فى سنة ست وستين القاضى عبدالجواد المتوفى الحنفى فباشرها كذلك .

وقد أعيد بناء مسجد عبدالله بن العباس رضى الله عنهما حديثاً فى عهد آل سعود على غرار المساجد الجامعة فى عواصم المدن الإسلامية فشمل رقعة كبيرة احتوت جميع أرض الجبانة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين وغيرها من المآثر النبوية .

ويتكون المسجد الآن من صحن مربع مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات عدا الجهة الشرقية حيث يشغل منها مقبرة الصحابة ومكان القبتين وكذا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتوجد فى كل من الضلعين الجنوبى والغربى للمسجد ثلاثة أروقة مكونة من

---

(1) ابن فهد : التحفة ص ٦٧ ، ٦٨ .

دعائم مربعة الشكل تعلوها عقود ذات زوايا . أما الجانب الشمالى للمسجد فيحتوى على ثلاثة عشر رواقاً موازية لحائط القبلة مكونة من دعائم تعلوها عقود ذات زوايا ويتوسط هذا الجانب مجاز يقطع الأروقة المستعرضة إلى نصفين ويكون عمودياً على محراب القبلة .

وفى الضلع الشمالى للمسجد يوجد محراب مجوف عميق تكتنفه حنيتان تستعمل اليمنى منهما كممر ويصعد إليها بدرج أما الثانية فتستعمل كدولاب حائطى لحفظ المصاحف وغيرها من الكتب الدينية . ويوجد المدخل الرئيسى للمسجد فى الضلع الغربى منه وهو عبارة عن باب كبير معقود يكتنفه بابان صغيران معقودان كذلك ويتقدم هذا المدخل سقيفة ذات أعمدة . والمسجد مرتفع عن سطح الشارع .

ولما كان الشارع منحدراً كذلك فإنه يصعد إلى الجامع بدرج يختلف عدد حطاته من مكان إلى آخر من أجزاء المسجد ، كما توجد مجموعة من الأبواب غير المدخل الرئيسى فى أضلاعه الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية حتى يسهل خروج المصلين منه .

المسجد النبوى

ولعل خير ما نختم به موضوع المساجد التى وردت فى السيرة العطرة هو مسجد الرسول .

لقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إلى المدينة ومعه أبوبكر رضى الله عنه ، وكان خروجها من خوخة فى دار أبى بكر ثم سارا متوجهين إلى غار ثور فدخلاه .

ولقد لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام ثم جاءهما عبدالله بن أريقط وهو كافر كانا قد استأجراه ليدلهما على الطريق . وكان قد هيأ لهما راحلتين ، ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، وركب أبوبكر الأخرى ، وأردف خلفه عامر بن فهيرة مولاه ليخدمهما فى الطريق .

ولما سمع المسلمون من الأنصار بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداه إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة . فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم ، وأحرقتهم الشمس وإذا رجل من اليهود قد صعد على آطم من آطامهم ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب ، يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا جدكم الذى تنتظرون[1] .

---

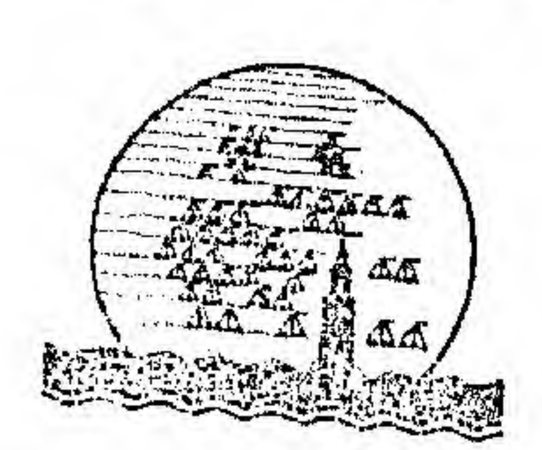
(١) معالم دار الهجرة ص ٢٠٤ .

وفى ذلك يقول أنس [1] بن مالك : كنت إذ قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ابن تسع سنين ، فأسمع الغلمان والولائد يقولون ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرى شيئاً ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر ، فكمنا [2] فى خرب [3] فى طرف المدينة وأرسلا رجلاً يؤذن [4] لهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى جاءوا إليهما . ويقول : فما رأيت مثل ذلك اليوم قط ، والله لقد أضاء منها كل شئ . ونزلا بقباء على كلثوم بن الهدم ، ثم ذكر تأسيس مسجد قُباء .

ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم شيخ بنى عمرو بن عوف (بطن من الأوس) فى قباء بقية يوم الاثنين الذى وصل فيه ، والثلاثاء وأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة [5] . وأسس فى قباء المسجد الذى أسس على التقوى أى الذى نزلت فيه الآية ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ [6] .

وكان خروجه منها يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى ببطن وادى (رانونا) ، فكانت أول جمعة صلاها فى المدينة . ثم أتاه رجال من بنى سالم [7] فقالوا : يارسول الله أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة ، فقال صلى الله عليه وسلم ، خلو سبيلها (يعنى ناقته) فإنها مأمورة .

ثم أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق حتى جاء بنى الحبْلَى فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى ، فلما رآه ابن أبى وهو عند مزاحم أى الأطم محتبياً قال :



---

(1) البخارى : التاريخ الصغير ص ٨٧ .

(2) كمنا أى : استترنا .

(3) الخرب : هو الموضع المحروث للزراعة .

(4) يؤذن بهما : أى يعلم ويخبر .

(5) وقيل لبث بضع عشرة ليلة وهو المنقول عن النجار ، وقيل اثنين وعشرين ليلة وفى الهدى لابن القيم أقام أربعة عشر يوماً ، وهو ما فى صحيح مسلم .

(6) سورة التوبة آية رقم (١٠٨) .

(7) معالم دار الهجرة ص ٢٠٥ .

اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم ، فقال سعد بن عبادة لا تجد[1] يا رسول الله فى نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها ، ولكن هذه دارى ، فمر ببنى ساعدة فقال له سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة : هلم يا رسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد[2] .

(موضع منبره ، وجواره مقبره ، ومقام مصلاه ، ودار آخرته ، وأولاده[3] وبجانبه حجرته المعظمة التى ضمت أعظمه . ولله القائل[4] :

يا خير من دفنت فى القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفس الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ويضيف سعد بن عبادة فيقول : يا رسول الله ليس من قومى أكر غدقا ولا فم بئر منى مع الثروة والجلد والعدد والحلقة ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بارك الله فيكم وجعل صلوات الله عليه يقول : يا أبا ثابت خَلِّ سبيلها فإنها مأمورة .

ثم مضى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاعترضه سعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة وبشير بن سعد فقالوا يا رسول الله تجاوزنا ، فإنا أهل عدد وثروة وحلقة ، فقال : بارك الله فيكم ، خلوا سبيلها فإنها مأمورة . ثم اعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرة ، أى من بنى بياضة ، يقولان : يا رسول الله هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة ، نحن أهل الدرك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلوا سبيلها فإنها مأمورة . ثم مر ببنى عدى بن النجار ، وهم أخواله ، فقام أبو سليط

---

(١) لا تجد : أى لا تغضب أو تحزن .

(٢) ابن حجر جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٣) مسالك الأبصار ص ٢٣ .

(٤) جاء فى المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٥١٠ (هامش مسالك الأبصار ص ١٣٤) : أن محمد بن حرب الهلالى أتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فزاره وجلس بحذائه فجاء أعرابى فزاره ثم قال : يا خير الرسل أن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه ﴿ ولو أنهم ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ . وقد جئتك مستغفراً من ذنبى مستشفعاً بك إلى ربى وأنشأ يقول البيتين .

وصرمة بن أبي أنيس فى قومها فقال : يا رسول الله نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة مع القرابة لا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله ، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة[١] .

ويقال : إن من أول الأنصار اعترضه بنو بياضة ، ثم بنو سالم ثم مال إلى ابن أبي ثم مر على بنى عدى بن النجار ، حتى انتهى إلى بنى مالك بن النجار[٢] .

ثم سار صلى الله عليه وسلم وقد أرخى لناقته زمامها ، فكان كلما مر بدار من دور الأنصار دعوة إلى النزول عندهم ، فكان يكرر اعتذاره (دعوها فإنها مأمورة) . ثم مضى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى باب المسجد وقد حشدت[٣] بنو مالك بن النجار ، فهم قيام ينتظرونه إلى أن طلع فهش إليه أسعد بن زرارة وأبو أيوب وعماره بن حزم وحارثة بن النعمان يقول : يا رسول الله قد علمت الخزرج أنه ليس ربع أوسع من ربعى قال : فبركت بين أظهرهم فاستبشروا ، ثم نهضت كأنها مذعورة ترجِّع الحنين[٤] . فساءهم ذلك وجعلوا يعدون بجنبها حتى أتت إلى زقاق الحبشى ببئر جمل ، فبركت والنبى صلى الله عليه وسلم عليها مرخ لها زمامها ثم قامت عَوْدَها على بدنها تريد فى المشى حتى بركت على باب المسجد وضربت بجرانها وعدلت ثفناتها[٥] .

وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه (أى النبى) فى النزول عليهم فأخذ رحله فأدخله ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحله وقد حط فقال (المرء مع رحله) . على أن الرسول لم ينزل حين بركت ثم ثبت فسارت غير بعيد ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول ، فنزل أنذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أى الدور أقرب ؟ فقال أبو أيوب دارى هذا بابى ، وقد حططنا رحلك فيها ، فقال (المرء مع رحله) فمضت[٦] مثلاً .

---

(١) وفاء الوفا جـ ١ ص ٢٥٧ .

(٢) وفاء الوفا جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٣) حشرت : أى اجتمعت .

(٤) ترجع الحنين : تردده .

(٥) الثفنات : جمع ثفنة ، وهى مايلى الأرض من كل ذات أربع عند بروكها ويحصل فيه غلظ من أثر البروك .

(٦) وفاء الوفا جـ ١ ص ٢٦٠ .

وروى ابن زبالة أنها (أى الناقه) لما بركت بباب أبى أيوب جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزل فتحلحلها [١] ، فيطيف حولها أبو أيوب فيجد جبار بن صخر أخا بنى سلمة ينخسها برجله ، فقال أبو أيوب : يا جبار عن منزلى تنخسها ، أما والذى بعثه بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزل أبى أيوب وقر قراره واطمأنت داره ونزل معه زيد بن حارثة [٢] .

وهكذا نرى أن اختيار مكان المسجد وموضعه لم يكن لأحد فيه رأى إنما تم بناء على إلهامات ربانية ، وهو حيث بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالقرب من بيت أبى أيوب الأنصارى حيث نزل الرسول صلى الله عليه وسلم وحط رحاله .

وقد جاء فى كتاب يحي عن الزهرى ، أنها بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين ، وكان مربداً لغلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته : هذا إن شاء الله المنزل ، وقال : اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ، قاله ، أربع مرات [٣] .

ويكمل الزهرى روايته فيقول : إن المربد [٤] كان لسَهْل وسُهَيل وأنهما كانا فى حجر أبى أمامه أسعد بن زرارة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال حين بركت به ناقته « هذا المنزل إن شاء الله » ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقال : بل نَهبَهُ لك يارسول الله ، فأبى أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً .

وقد اختلفت المصادر التاريخية وكذا كتاب السير فى تعيين أسماء من كان اليتيمان فى حجورهم ، فقد قال يحي تبعاً لابن زبالة : وقال بعضهم : كان لغلامين يتيمين

---

(١) تحلحلت ورزمت : تحلحلت بتقديم اللام على الحاء أى تحركت ، وأرزمت حدوث صوت من غير أن يفتح الفم .

(٢) وفاء الوفا جـ ١ ص ٢٦٠ .

(٣) أما أنس فيقول أن الرسول نطلق الدعاء لله بمباركة المنزل مرة واحدة وليس أربع .

(٤) المربد : هو الموضع تحبس فيه الإبل والغنم ، وهو مشتق من (ربد بالمكان) إذا أقام فيه أو من (ربده) أى حبسه كما يمكن أن يطلق على مخزن التمر .

لأبي أيوب هما سهل وسهيل ، ابنا عمرو ، فطلب المربد من أبي أيوب فقال أبو أيوب : يا رسول الله المربد ليتيمين ، وأنا أراضيهما فأعطاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتخذه مسجداً .

وعند ابن أسحق ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لمن هذا ؟ يعني المربد ، فقال له معاذ بن عفراء ، هو لسهل وسُهيل ابنا عمرو يتيمان لي وسأرضيهما منه ، فاتخذه مسجداً ، فأمر به أن يبنى .

وفى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى ملأ بنى النجار بسبب موضع المسجد ، فقال يا بنى النجار ثامنونى[1] بحائطكم[2] هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله أو (إلا من الله) .

ومهما يكن من أمر الذى كان فى حجرة اليتيمين ، فإن الذى أجمع عليه معظم الرواة ، هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اشترى المربد من اليتيمين بعشرة دنانير ذهباً دفعها أبوبكر الصديق من ماله[3] .

ولما أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم المربد ، كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب ، فأمر بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، فصفوا النخل قبلة له ، وجعلوا عضاديته حجارة[4] .

وجاء فى الصحيح[5] : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل . ويضيف فيقول : إنه كان فى جوف الأرض ، أى أرض المربد ، قبور جاهلية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور

---

(١) ثامنونى : أى ساومونى فى أرض المربد .

(٢) حائطكم : الحائط هو البستان أو الحديقة .

(٣) وفاء الوفاء جـ ١ ص ٣٢٦ .

(٤) ابن هشام جـ ١ ص ٤٩٤ .

(٥) ابن كثير جـ ٢ ص ٢٧٤ .

فنبشت فرمى بعظامها ، فأمر بها فغيبت ، وكان فى المربد ماء مستنجل [1] فسّيره حتى ذهب .

أما عن مساحة المسجد الذى بنى بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة إلى المدينة المنورة كما هو واضح من سير الأحداث ، فقد كان سبعين ذراعاً [2] من الشمال إلى الجنوب وستين من الشرق إلى الغرب وروى ابن إسحاق قال : لما أخذ فى بناء المسجد قال : ابنوا لى عريشاً كعريش موسى ، ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى ، فالأمر أعجل من ذلك ويحملون علىّ اللبنتين والثلاث ، فأخذ بيده فطاف به فى المسجد وجعل يمسح وَفْرَته [3] بيده من التراب ويقول : يا ابن سمية لا يقتلك أصحابى [4] ولكن تقتلك الفئة الباغية [5] .

ويصف لنا ابن سعد [6] كيفية بناء المسجد ومن عمل به من المتخصصين فى طريقة البناء بالطمى واللبن فيقول : وجاء رجل يحسن عجن الطين ، وكان من حضرموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحم الله امرأ أحسن صنعته ، وقال له : الزم أنت هذا الشغل فإنى أراك تحسنه .

زيادة الرسول فى مسجده :

لقد كان هناك عدة أسباب جوهرية حتمت على الرسول صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) فى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها « وكان واديها يجرى نجلا تريد وادى المدينة ، والنخل : النز ويجمع على أنجال واستنجل الماء : صار نزاً قليلاً أو رشحاً .

(٢) لم تذكر المصادر نوع الذراع ، وإن كان المعمول به فى عهد الرسول هو ذراع اليد أى (٤٨) سم .

(٣) الوفرة : هو شعر الرأس إذا وصل إلى سحمة الأذن .

(٤) وفاء الوفاء جـ ١ ص ٣٣٣ .

(٥) المقصود هنا بالفئة الباغية ، هو معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وجماعة أيام فتنة عثمان بن عفان ومحاربتهم لعلى بن أبى طالب فى موقعة صفين حيث قتل عمار بن ياسر .

(٦) جاء فى الروض الأنف للسهيلى . أن معمر بن راشد روى : فلما قتل عمار بن ياسر يوم صفين دخل عمرو بن العاص على معاوية رضى الله عنها فزعاً فقال قتل عمار فقال معاوية ، فماذا ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية بن أبى سفيان دحضت (أى تزحلق) فى بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه .

يزيد فى مساحة مسجده ، حتى يستطيع استيعاب الأعداد المتزايدة من المصلين ، وخاصة بعد انتشار الإسلام عقب صلح الحديبية سنة ٦ هـ . كما كانت الفرصة مواتية من الناحية المادية بعد انتصاره صلى الله عليه وسلم على يهود خيبر وفدك ووادى القرى فى غزوة خيبر سنة ٧ هـ . وجرى الصلح بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يكون له نصف أموالهم ، وأن له أن يخرجهم من مواطنهم متى شاء .

وقد ذكر لنا النواوى فى مسكه عن خارجة بن زيد أحد فقهاء المدينة السبعة قال : بنى الرسول صلى الله عليه وسلم فى المرة الثانية مائة ذراع فى مائة وأنه مربع . ويحدثنا السمهودى[1] عن قطعة الأرض التى زيدت فى المسجد النبوى فيقول إن النبى قال لصاحب البقعه التى زيدت فى مسجد المدينة وكان صاحبها من الأنصار « لك بها بيت فى الجنة » فرد عليه وقال : لا ، فجاء عثمان بن عفان فقال له : لك بها عشرة آلاف درهم » فاشتراه منه .

ثم جاء عثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اشتر منى البقعة التى اشتريتها من الأنصارى ، فاشتراها منه ببيت فى الجنة . فقال عثمان ، إنى اشتريتها بعشرة آلاف درهم فوضع النبى صلى الله عليه وسلم لبنة ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ثم دعا عمر فوضع لبنة ، ثم جاء عثمان فوضع لبنة ، ثم قال للناس (ضعوا) فوضعوا[2] . وتضيف السيدة عائشة على هذه الرواية فتقول : فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : هذا أمر الخلافة بعدى[3] .

أما عن ذرع مسجد الرسول وحدوده كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول ابن النجار[4] : إن حدود مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كان فى زمنه ، من القبله (الدرابزينات) التى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة . ومن الشام

---

(١) السمهودى : وفاء الوفا جـ١ ص ٣٣٨ .

(٢) ابن كثير جـ٢ ص ٢٧٩ .

(٣) ابن هشام جـ١ ص ٤٩٩ .

(٤) ابن النجار ص ٦٩ .

(الشمال) الخشبتان المغروزتان فى صحن المسجد . أما من الشرق إلى الغرب فهى من حجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأسْطوان الذى بعد المنبر ، وهو آخر البلاط .

تحويل القبلة :

جاء فى البخارى عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يُوجَّه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء﴾[1] فتوجه نحو الكعبة ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[2] . فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه توجه نحو الكعبة ، فتحرَّف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة[3] .

وقد كان لتحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى بيت الله فى مكة المشرفة صدى كبير عند اليهود الذين كانوا يرون فى اتخاذ المسلمين قبلتهم ، أمل كبير فى تحويلهم إلى دينهم ، وفى ذلك يقول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقف يصلى انتظر أمر الله فى القبله ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنه عنها من فعل أهل الكتاب ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فأشار له جبريل : يا مُحمد صل إلى البيت ، وصلى جبريل عليه السلام إلى البيت قال : فدار النبى صلى الله عليه وسلم إلى البيت ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قِبْلَة ترضاها﴾ إلى ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٤٤) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٤٢) .

(٣) وفاء الوفا جـ١ ص ٣٥٩ .

(٤) سورة البقرة آية رقم (١٤٤) .

فقال المنافقون : حَنَّ محمد إلى أرضه وقومه ، وقال المشركون : أراد محمد أن يجعلنا له قبلة ، وأن يجعلنا له وسيلة ، وعرف أن ديننا أهدى من دينه . وقالت اليهود للمؤمنين : ما صرفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم ألا تعبثون . وقال المؤمنون : لقد ذهب منا قوم ماتوا ما ندرى أكنّا نحن وهم على قبلة أم لا ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ .

هذا وقد اختلف الرواة فى تعيين المسجد الذى اتخذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم قبلتين فى صلاة واحدة . كما اختلفوا فى تحديد المدة التى اتخذ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بيت المقدس قبلة له . ومن ثم فقد رأينا أن نورد بعض هذه الروايات حتى نستطيع أن نخلص إلى أرجح الروايات .

أما عن المسجد الذى حولت فيه القبلة فيقول الزمخشرى : « صُرِفت القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد ابن سلمة ـ يعنى مسجد القبلتين ـ وقد صلى أصحابه ركعتين من صلاة الظهر ، فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب ، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن عثمان بن عبدالرحمن قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر فى مسجده قد صلى ركعتين ، إذ نزل جبريل عليه ، فأشار إليه أن صَلِّ إلى البيت ، وصلى جبريل إلى البيت .

أما عن مدة الصلاة إلى بيت المقدس ، فيقول القشيرى [1] : صلى رسول الله رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ضع القبله وأنت تنظر إلى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا فأماطه كل جبل بينه وبينها فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شئ ، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام ، هكذا ، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، وصارت قبلته إلى الميزاب .

وقد ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين

---

(١) لطائف التفسير جـ ٢ ص ٥٩٥ .

لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما ، على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل[1] . وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر[2] أو ساج . ويضيف ابن النجار فيقول : ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بنى لهم حجراً وهى تسعة أبيات ، وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه وسلم .

قال أهل السير ضرب النبى الحجرات ما بينه وبين القبلة والمشرق إلى الشامى ولم يضربها فى غربيه . وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب وكانت أبوابها شارعة فى المسجد[3] .

وروى ابن الجوزى بسنده إلى محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبى الرجال : أين كانت منازل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فأخبرنى عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها فى الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام فى وجه المنبر هذا أبعدها (أى فى الضلع الشرقى من المسجد) . ولما توفيت زينب بنت خديجة أدخل ، أى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم سلمة بيتها[4] .

ويقول عمران[6] بن أبى أنس : أدركت حُجرات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة[5] أبيات من جريد مطينه لا حجر لها . على أبوابها مسوح الشعر ، وذرعت الستر فوجوته ثلاثة أذرع فى ذراع .

ويحدثنا ابن ابن أم سلمه رضى الله عنها ، عن حجرة جدته فيقول لما غزا الرسول

---

(١) ابن النجار ص ٧٣ .

(٢) العرعر : هو نوع من الخشب ، والساج : شجر صلب عظيم ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه ومنبته بلاد الهند .

(٣) عيون الأثر جـ ٢ ص ٢٩١ .

(٤) الواقدى جـ ١ ص ٥٦ .

(٥) الاستيعاب جـ ١ ص ٥٦ .

(٦) وفاء الوفا : جـ ١ ص ٣٥٩

صلى الله عليه وسلم دومه ، بنت أم سلمه بلبن حجرتها فلما قدم نظر إلى اللبن فقال ، ما هذا البناء ؟ فقالت أردت أن أكف أبصار الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم ؛ يا أم سلمه ان شر ما ذهب فيه مال المسلمين[١] .

ويقول الذهبي : لم يبلغنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ولا أحسبه فعل ذلك ، إنما كان يريد بيتاً واحداً حينئذ لسوده بنت زمعة أم المؤمنين ، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضى الله عنها فى شوال فى سنة اثنين ، فكأنه صلى الله عليه وسلم بناها فى أوقات مختلفة[٢] .

حجرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كان بيت فاطمة خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم عن يسار المصلى إلى الكعبة (أى فى الضلع الشرقى من المسجد) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قام من الليل إلى المخرج ، أطلع منه يعلم خبرهم[٣] . وكان يأتى بابها كل صباح فيأخذ بعضاديته ويقول : الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا[٤] .

ويصف ابن النجار[٥] بيت فاطمة فيقول : كان ىبت فاطمة فى موضع الزور مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه كوة[٦] إلى بيت عائشة رضى الله عنها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى المخرج أطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم .

ويروى أن فاطمة قالت لعلى : أن ابنى امسيا عليلين فلو نظرت لنا أدما

---

(١) الإصابة جـ ١ ص ٥٧ .

(٢) صحيح مسلم : الفضائل جـ ٤ ص ١٩٧٠ .

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٦٩ .

(٤) صحيح مسلم جـ ١٤ ص ٤٤ .

(٥) أخبار مدينة الرسول ص ٧٤ .

(٦) الكوة : الفتحة الصغيرة أو الخرق فى الحائط .

نستصبح [1] به ، فخرج على إلى السوق فاشترى لهم أدماً ، وجاء به إلى فاطمة فاستصبحت [2] فدخلت عائشة المخرج فى جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم ، وذكر كلاماً وقع بينهما . فلما أصبحوا سألت فاطمة النبى صلى الله عليه وسلم أن يسد الكوة فسدها .

واعتماداً على الروايات السالفة يمكن أن نتبين فى وضوح شكل ووصف حجرة السيدة فاطمة . فتقع الحجرة فى الجهة الشرقية بالنسبة لمسجد الرسول وأنها تشترك مع جزء من حائط السيدة عائشة ، حيث جاء فى بعض الروايات أن هناك الزور ، وهو عبارة عن مثلث فى الركن الجنوبى الشرقى للمسجد (حيث يوجد دورة مياه لقضاء الحاجة) . وأنه يوجد فى الجدار المشترك بين الحجرتين مفتوح فيه كوة أو فتحة يمكن عن طريقها أن ترى السيدة عائشة كل ما يدور فى حجرة السيدة فاطمة . وأن باب حجرة فاطمة لابد وأن يكون شارعاً على الطريق ، وليس شارعاً فى المسجد كباقى حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن النجار [3] : وبيت فاطمة اليوم حوله مقصورة وفيه محراب ، وهو خلف حجرة النبى صلى الله عليه وسلم .

منبر المسجد :

المنبر لغة من نبر ينبره رفعه ومنه المنبر بكسر الميم . وانتبر ، كل شىء مرتفع من شىء أو إقليم أو عمل . والكلمة أمهرية الأصل [4] .

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم

---

(١) الأدم : يراد به هنا الزيت ، وأصله كل ما يؤكل .

(٢) تستصبح : أى تستضىء به .

(٣) ابن النجار : ص ٧٦ .

(٤) القاموس المحيط (باب الرداء فصل النون) .

يوم الجمعة[1] (فى خطبة الجمعة) . إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة[2] من الأنصار ، أو رجل : يا رسول الله ، ألا تجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً .

ويحدثنا بريدة[3] عن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الجمعة فيقول : كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خطب (يوم الجمعة) فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فأتى بجزع نخلة ، فحفر وأقيم إلى جنبه قائماً للنبى صلى الله عليه وسلم . فكان النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكأ عليه .

ويكمل بريدة الرواية فيقول . فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن مُحمداً يحمدنى فى شىء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وشاء قام ،

فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ائتونى به ، فأتوه به فأمر أن يصنع له هذه المراق الثلاث أو الأربع وهى الآن فى مسجد المدينة . فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المهجرة . وما ذكره ابن سعد على أنه صنع فى السنة السابعة لا يتفق مع ما جاء فى الروايات الأخرى من أن تميم الدارى هو صانعه ، ذلك أن تميم الدارى وهو من أهل فلسطين ، قدم إلى المدينة المنورة سنة تسع . أما بالنسبة لغلام العباس فمن المعروف أن العباس قدم المدينة بعد فتح مكة أى فى أواخر السنة الثامنة .

ويتضح لنا مما قدمنا من أقوال المؤرخين أنهم اتفقوا على منبر المسجد النبوى فى عهده عليه الصلاة والسلام ، كان درجتين غير المجلس[4] . أما عن ذرعه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول ابن زبالة[5] : وطول منبر النبى صلى الله عليه وسلم خاصةً ذراعان فى السماء وعرضه ذراع فى ذراع ، وتربيعه سواء ، وفيه مما كان يلى

---

(١) زاد المعاد جـ ١ ص ٣٤١ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٦٠١ .

(٣) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٣٨٨ .

(٤) المجلس : أى الموضع الذى يجلس عليه .

(٥) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٤٠٢ .

ظهره إذا قعد ثلاثة أعواد تدور . وما بين أسفل قوائم منبر النبى صلى الله عليه وسلم الأول إلى رمانته خمسة أشبار وشيء ، وعرض درجة .

الصفـة وأهلهـا :

الصُفَّة بضم الصاد وتشديد الفاء ، ظُله فى مؤخر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يأوى إليها المساكين وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل [(1)] . أما مكان الصفة ، فقد كانت القبلة قبل أن تُحوَّل فى شمال المسجد فلما حولت القبلة إلى حائط المسجد القبلى (الجنوبى) وحلت الصفة فى ضلع المسجد الشمالى [(2)] .

وهكذا اضحت الصفة فى مؤخر المسجد النبوى فى مكان مظلَّل ، أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر [(3)] .

وروى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال : لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار مأوى أنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة ، فكان يجالسهم ويأنس بهم [(4)] .

ويبدو أن أهل الصفة كانوا فى حالة من الفقر والحرمان حتى أن بعضهم كان يخر من قامته من الخصاصة [(5)] ، حتى يقول الأعرابى مجانين ، وهم أهل الصفة ، فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آتاهم فوقف عليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقراً وحاجة .

---

(1) أخبار مدينة الرسول ص ٨٢ .

(2) ابن اسحاق السيرة جـ ٤ ص ١٣ .

(3) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٨٨ .

(4) عيون الأثر جـ ٢ ص ٣٠٨ .

(5) الخصاصة بفتح الخاء المعجمة ، وهى الفقر والحاجة . وجاءت فى القرآن الكريم ﴿ **يؤثرون الناس على أنفسهم ولوكانت بهم خصاصة** ﴾ .

ومن حديث أبي هريرة ، وهو واحد من أهل الصفة قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء ، ولكن إما إزار وإما كساء قد ربطوه ، فمنها ما بلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[1] .

على أننا إذا تحرينا الدقة لمعرفة السبب الذى من أجله خصص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المكان البارز البعيد عن صفوف باق المصلين ، لعرفنا أن رسول الله الذى وصفه ربه فقال : ﴿ إنك لعلى خلق عظيم ﴾ أراد أن يبرز فقراء المسلمين فى مكان مخصوص معلوم ، حتى يراهم الأغنياء والموسرون فيجودون عليهم دون أن يعرضهم للسؤال .

خلافـة أبى بكر :

أما عن المسجد فى خلافة أبى بكر فلم يذكر كتاب السير أن أبا بكر الصديق قد أضاف جديداً فى المسجد النبوى ، وذلك لقصر المدة التى قضاها فى الخلافة ، هذا فضلاً على انشغاله بحروب الردة .

فقد روى البخارى وأبو داود عن ابن عمر ، أن أبا بكر رضى الله عنه لم يزد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، وزاد فيه عمر .

وفى رواية أخرى لأبى داود أن سوارى (أى أعمدة) مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، نخرت فى خلافة أبى بكر الصديق ، فبناها بجذوع النخيل .

على أنه لا يوجد تعارض فى أقوال أبى داود ، فقد قال فى الرواية الأولى أنه لم يزد شيئاً فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . ويفهم من الرواية الثانية أنه لم يضف شيئاً بل بدل الأعمدة المنخورة بأعمدة خشبية جديدة . وذلك كما أجمع أهل السير لانشغاله بحروب الفتح[2] .

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٥٤ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٨١ .

لما تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد وفاة أبى بكر الصديق ، قال : إنى أريد أن أزيد فى المسجد الشريف ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ينبغى أن يزاد المسجد » ما زدت فيه شيئاً .

وفى رواية لابن عمر قال : إن الناس كثروا فى عهد عمر بن الخطاب ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين ، لو وسَّعت فى المسجد فقال عمر : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنى أريد أن أزيد فى قبلة مسجدنا » ما زدت[1] فيه .

ويذكر ابن زبالة[2] عن أنس قال : لما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر الصديق ، لم يحول المسجد (النبوى) ، فلما ولى عمر بن الخطاب جعل أساطينه من لبن ، ونزع الخشب ومده فى القبلة . وكان حد جدار عمر من القبلة على أول الأساطين القبلة التى إليها المقصورة ، أى التى كانت بين صف الأساطين التى تلى القبلة على الرواق القبلى (الجنوبى) ثم مدوا مقاطاً[3] ، فوضعوا طرفه بيد الرجل ، ثم مدوه ، فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك فيه بما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزيادة فقدم عمر القبلة ، فكان موضع جدار عمر فى موضوع عيدان المقصورة[4] .

ومن البديهى أن عملية التوسعة هذه كانت تقتضى إزالة المبانى والدور المحيطة بالمسجد . على أن هذه العملية لم تكن بالموضوع السهل الهين ، ذلك أن حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت تشغل معظم الضلع الشرقى وخاصة الجزء المحازى لحائط القبلة ، كما كانت دار العباس عم الرسول تقع خلف حائط القبلة ، وقد رفض التخلى عنها بأى صورة من الصور .

فقد ذكر ابن سعد[5] عن سالم أبى النضر قال : لما كثر المسلمون فى عهد عمر

---

(١) ابن النجار ص ٩٣ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٨١ .

(٣) القماط : حبل صغير شديد الفتل يكاد يقوم من شدة فتله (ابن الأثير : أسد الغابة جـ ٢ ص ٩٣) .

(٤) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٨٢ .

(٥) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ٨٨ .

وكان ميزاب دار العباس يسيل المطر منه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر بيده فقلع الميزاب ، فقال : هذا الميزاب لا يسيل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له العباس ، والذى بعث مُحمداً بالحق إنه هو الذى وضع هذا الميزاب فى هذا المكان ونزعته أنت يا عمر . فقال عمر رضى الله عنه ، ضع رجليك على عنقى لترده إلى ما كان ، ففعل ذلك العباسى[1] .

وروى أن نزع الميزاب كان قبل مشكلة الدار ، لأنه كان يسكب الماء داخل المسجد للزوقة[2] به عن رواية رزين .

أما عن مساحة[3] المسجد النبوى فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول يحيى عن ابن عمر « أن المسجد كان طوله من القبلة إلى الشام (أى إلى الضلع الشمالى على عهد عمر رضى الله عنه أربعين ومائة ذراع وعرضه (أى الضلع الممتد من الشرق إلى الغرب) عشرون ومائة ذراع . وطول السقف أى (ارتفاعه) أحد عشر ذراعاً »[4]

ولما كان عمر بن الخطاب أبقى حجرات أمهات المؤمنين كما هى ، وهى كما نعرف فى الضلع الشرقى من المسجد ، إذن فزيادة عمر كانت من الجهة الغربية ، وهى عشرون ذراعاً ، وبذلك يكون نهاية المسجد فى زمنه من جهة الاسطوانة السابعة من غربى المنبر .

أما الزيادة التى أضافها عمر بن الخطاب إلى طول المسجد وهى أربعون ذراعاً ، فقد زاد عشرة منها فى جهة القبلة وثلاثين فى جهة الشام (الشمال) .

ومن الدور التى أضافها عمر بن الخطاب غير دار العباس ، إلى المسجد النبوى ، فهى كما يقول السيد القرافى فى ذيله . واشترى عمر أيضاً نصف موضع كان خطة

---

(١) وفاء الوفا جـ٢ ص ٤٩٠ .

(٢) لزوقة : أى ملتصق بالمسجد .

(٣) تحقيق النصرة ص ٤٦ .

(٤) وفاء الوفا جـ٢ ص ٤٩٤

الرسول صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة . وكان ثمن الدار بمائة ألف درهم فزاده فى المسجد[1] . وفى رواية ليحيى ، أن الذى اشترى دار جعفر بن أبي طالب هو عثمان بن عفان[2] .

أما فى خلافة عثمان بن عفان لقد جاء فى صحيح[3] البخارى وفى سنن أبي داود عن ابن عمر أنه قال : إن المسجد كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنائه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم باللبن والجريدة وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان بن عفان فزاد فيه زيادة كبيرة ، فبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصة[4] ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .

وجاء فى صحيح مسلم عن محمود بن لبير قال : إن عثمان بن عفان آراد وزاد فى أبوابه فأضحت باب النساء ، وباب مروان ، أى الباب المعروف بباب السلام ، والباب الذى يقال له باب النبى صلى الله عليه وسلم ، أى المعروف بباب جبريل ، وبابين فى مؤخر المسجد (أى الضلع الشمالى) .

روى ابن زبالة[5] وابن شبه[6] عن ابن سعد عن أشياخه أول من عمل المقصورة بالمسجد النبوى بلَبِن هو عثمان بن عفان . وأن المقصورة تحتوى على كُوى (أى فتحات أو نوافذ صغيرة) ينظر الناس منها إلى الأمام . وأنه استعمل عليها السائب بن خباب ، وكان رزقه دينارين فى كل شهر . فلما توفى ، خلفه أولاده الثلاثة مسلم وبكير وعبد السلام ، فتواسوا فى الدينارين ، فجريا فى الديوان على ثلاثة منهم .

---

(١) عمدة الأخبار ص ١٠٦ .


(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٩٤ .


(٣) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٠٠ .

(٤) القصة : بفتح القاف وتشديد الصاد مفتوحة ، هى الجص . وقد سمى موضع قريب من المدينة لترى القصة لأن تربته تحتوى على الجص .

(٥) وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٥١٠ .

(٦) ابن شبه جـ ١ ص ٦ .

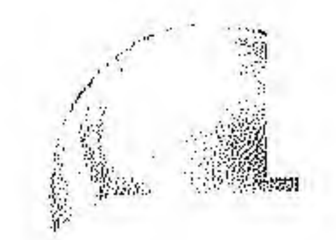




عبد الرحمن بن عوف بدارهم ، فأبوا فهدمها عليهم وأدخلها فى المسجد . وهنا يقول عبد الرحمن بن حميد ، فذهب لنا متاع فى هدمهم . داخل القرائن دور عبد الرحمن بن عوف ، وأدخل دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القراء . كذلك أدخل أبيات هاشم بن عتبه بن أبى وقاص . ومن الجهة الغربية أدخل داراً كانت لطلحة بن عبيد الله ، وداراً كانت لأبى سيرة بن أبى رُهم كانت فى موضع المربعة فى غربى المسجد . وداراً لعمار بن ياسر كانت إلى جنب دار أبى سبرة [1] .

كذلك أدخل بعض دار العباس بن عبد المطلب ، وداراً كانت لمخاريق مولى العباس بن عبد المطلب [2] .

وعن السنة والتاريخ الذى بدأ فيه عمر بن عبد العزيز فى إعادة بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اختلفت فيه الروايات كذلك .



فيقول ابن زبالة مثلاً : وهدمه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ، وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقصَّة (أى الجص والمونة) بطن نخل ، وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه بالساج (وطلاه) بماء الذهب [3] .

ويضيف قدمة بن موسى فيقول : إن عمر بن عبد العزيز أخمَّر النورة التى تعمل بها الفسيفساء (مدة) سنة . وحملوا القصة من بطن نخل ، وعمل الأساس بالحجارة والجدار بالحجارة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص [4] . وكان طول المسجد مائتى ذراع وعرضه فى مقدمته مائتين وفى مؤخرة ثمانين ومائة [5] .

ويحدثنا صالح بن كيسان عن تاريخ بداية العمل فى المسجد النبوى فيقول : لما

---

(1) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥١٧ .

(2) الإصابة جـ ٨ ص ٢٤٠ .

(3) تحقيق النصره ص ٥٣ ، ٥٤ .

(4) معالم دار الهجرة ص ٢٢١ .

(5) ابن النجار ص ١٠٠ .

جاء كتاب الوليد من دمشق لهدم المسجد سار خمسة عشرة (عاملاً) فجرد فى ذلك عمر بن عبد العزيز ، واستعملنى (أى صالح بن كيسان) على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد .

ويضيف ابن عمار عن جده فيقول : وكان فى موضع صلاة الجنائز ، أى شرق المسجد فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان ، نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فيصلى عليهم . فأراد عمر بن عبد العزيز قطعهما عند هدم المسجد وذلك سنة ثمان وثمانين ، فاقتتلت فيهما بنو النجار من الأنصار ، فابتاعهما عمر بن عبد العزيز فقطعهما [1] .

ويقول فى هذا الشأن حفص بن مروان عن أبيه : إن عمر بن عبد العزيز مكث فى بناء المسجد النبوى ثلاث سنين .

وفى اعتقادنا أن أقرب الروايات إلى الصواب هو ما رواه ابن زبالة [2] وأيده ابن النجار [3] وهو أن البداءة فى هدم المسجد النبوى وعمارته ثمان وثمانين . وأن عمر بن عبد العزيز ، استمر فى تحصيل ما يحتاجه من مواد البناء وأدواتها وشراء الأماكن وتخمير النوره إلى سنة إحدى وتسعين .

ومن ثم فإن ابتداء عمر بن عبد العزيز فى بناء المسجد النبوى ، كان سنة ثمان وثمانين وفرغ منه سنة إحدى وتسعين ، وفيها حج الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وكان عمر بن عبد العزيز لا يألو جهداً فى سبيل تحسين المسجد وإظهاره بالمظهر اللائق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين أجمعين ، فقد روى يحي عن النثر بن أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عمله نَفَّله [4] عمر ثلاثين درهماً .

---


(١) المطرى ص ٦٥ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٢٢ .

(٣) ابن النجار ص ١٠٠ .

(٤) نفله أى اعطاه زيادة عن أجره المقرر واستعمل فيما يعطى للمقاتلين من الغنائم .





وجاء فى كتب السيرة ، أن عمر بن عبدالعزيز جعل لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حين بناه أربَعَ منارات فى كل زاوية منه منارة[1] .

ويضيف كثير بن حفص : وكانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان ، فلما حج سليمان بن عبدالملك أذن المؤذن ، فأطل عليه فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر لمسجد وبابها على باب المسجد ، مما يلى دار مروان من قبل المسجد[2] .

ويحدد ابن زبالة ذرع المنارات فيقول : ولمسجد الرسول ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعاً تقريباً ، ذلك أن طول المنارة الشرقية اليمانية (أى فى الركن الجنوب الشرقى) فى السماء خمس وخمسون ذراعاً . والمنارة الشرقية الشامية (الشرقية الشمالية) خمس وخمسون ، والمنارة الغربية الشامية (الشمالية) ثلاث وخمسون . وعرض المنارات (أى حجم القاعدة) ثمان أذرع فى ثمان أذرع[3] .

أما عن الشرفات والمحراب الذى اتخذه عمر بن عبدالعزيز فى المسجد النبوى ، فيقول يحيى[4] عن ابن عباس عن أبى : مات عثمان بن عفان وليس فى المسجد شُرفات ولا محراب ، فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبدالعزيز .

والشرفات ، اصطلاح معمارى يقصد به الزخارف البنائية التى تعلو العمائر أو تشرف عليه ومن ثم جاء اسمها ، وهى تعرف فى الإنجليزية (Cresting) . وهذه الشرفات إلى جانب أنها عنصر زخرفى معمارى ، فهى فى نفس الوقت تحمى العمائر من أن يتسلقها اللصوص أو من تسول له نفسه بالقيام بأى عمل يضر بالمبنى[5] .

والمحراب المجوف (Concave) لم يكن معروفاً فى المساجد قبل عصر

---

(١) سيرة بن هشام جـ٣ ص ١٠٢ .

(٢) الإصابة جـ٨ ص ٢٤٠ .

(٣) وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٢٦ .

(٤) وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٢٦ .

(٥) سعاد ماهر : مساجد مصر جـ١ ص ٢٠ .

الوليد بن عبد الملك ، وإن أول من أحدث المحراب المجوف هو عمر بن عبد العزيز فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولما كانت المصادر التاريخية سجلت أن القبط بنوا مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخرته ، فكان المحراب إذن فى الجزء الذى بناه القبط .

ولما كان شكل المحراب المجوف مشتقاً من الكنائس لذلك نجد الكثير من المؤرخين لم يرتاحوا إلى هذا الشبه ، وما لبثوا أن استخرجوا حديثاً نسبوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن ظهور المحاريب التى تجعل المساجد تشبه الكنائس علامة من علامات الساعة . وكتب بعض الفقهاء فى ذلك فقالوا : « إن المحراب أقل أجزاء المسجد قداسة » بل إن السيوطى ألف رسالة سماها « أعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب »[1]

ومن العادات التى استحدثت كذلك فى عهد عمر بن عبد العزيز اتخاذ حرس للمسجد ، فقد روى ابن زبالة[2] عن موسى بن عبد الله ، أن عمر بن عبد العزيز قد استأجر حرساً للمسجد لا يحترف فيه أحد .

وقد كان السبب فى اتخاذ الحرس هو منع الناس من الصلاة على الجنائز فى المسجد . وقد اختلفت الآراء فى جواز الصلاة على الجنائز فيه .

---

(١) سعاد ماهر : مساجد مصر جـ ١ ص ٢٢ .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٥٣١ .



ويستكمل ابن النجار الأعمال التى أجريت للمسجد النبوى فى عهد الخليفة المهدى فيقول : ثم خفض المقصورة وكانت مرتفعة قدر ذراعين عن أرض المسجد ، فوضعها على الأرض ، على حالها اليوم (أى القرن السابع الهجرى) . وسد على آل عمر خوختهم التى فى دار حفصة حتى كثر الكلام فيها ثم صالحهم على أن يخفض المقصورة ، وزاد فى المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات . وحفرت الخوخة حتى صارت تحت أرض المقصورة ، وجعل عليها فى جدار القبلة شباك حديد فهو عليها[١] .

ويقول ابن زبالة[٢] انه قد فرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة . ويضيف ابن النجار[٣] فيقول : وكتب على أثر الكتابة التى كتبها عمر بن عبد العزيز فى صحن المسجد النص الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمر عبد الله المهدى أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل . والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسنته فى ذلك وأحسن ثوابه[٤]

ثم كتب أم القرآن كلها :

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

ثم كتب بعدها : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة

---

(١) ابن النجار ص ١٠٤ .

(٢) تحقيق النصرة ص ١٠٤ .

(٣) ابن النجار ص ١٠٤ .

(٤) عمدة الأخبار ص ١١٨ .

وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾[1] .

ثم كتب بقية النص التاريخى[2] (وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين وستين ومائة وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة . فأمير المؤمنين أصلحه الله ، يحمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته حمداً كثيراً والحمد لله رب العالمين على كل حال[3] .

وقد عدَّد ابن زباله ويحى البناية والدور التى ابتاعها الخليفة المهدى ، فقالا عن الزهيرى . وكان مما أدخل فى المسجد من الدور دار مليكه التى باعها عبد الله من معاوية ، فصارت من الصوافى ، فأدخلها المهدى فى المسجد . وقالوا وأدخل دار شرحبيل بن حسنة ، وكانت صدقة ، فابتاعوا دوراً ومنازل فأوقفوها صدقة . وباعوا صدرها من المهدى فزادها فى مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة إحدى وستين ومائة[4] .

واستطرد ابن زباله[5] فى ذكر باقى الدور التى أدخلها المهدى فى المسجد النبوى فقال : وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القراء ، ودار المشور بن مخرمه بن نوفل بن آهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتقع دار مخرمة فى زاوية المسجد عند المنارة الشرقية (اليمانية)[6] ، فاشترى المهدى بعضها فأدخله فى رحبة المسجد القصيا وفى الطريق[7] ، وبيعت بقيتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١٨) .

(٢) ابن النجار ص ١٠٥ .


(٣) ابن النجار ص ١٠٥ .


(٤) وفاء الوفا جـ٢ ص ٥٣٨ .

(٥) تحقيق النصره ص ٥٤ .

(٦) ذكر ابن شبه أن الدار تقع عند المنارة الشرقية اليمانية أى الجنوبية وهذا غير صحيح لأن المدى زاد فى مساحة المسجد من الجهة الشمالية وعلى ذلك يكون المقصود هو المنارة التى فى الركن الشمالى الشرقى .

(٧) ابن شبة جـ١ ص ٢٣٢ .





دخول أحد قَوَمَة المسجد فى المخزن الذى فى الجانب الغربى من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، فاستخرج منها ما احتاج إليه ، ثم ترك الضوء الذى كان فى يده على قَفَص من أقفاص القناديل (فى) الرواق الأوسط الذى يلى الرواق الذى سبقت عمارته ، وقلعوا السقف الأسفل المحاذى لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف .

وكان من أقدم السقف ، ومع ذلك تعبوا فى قلعه أكثر من غيره لإتقانه وإحكامه فإنه من عمل الأقدمين ، فقد وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه ، ثم أعادوه وأصلحوا شيئاً فى السقف الشامى كما جددوا أيضاً دِهان بعض السقف التى حول الحجرة داخل المقصورة التى تعرف بالحجرة من غير قلع لتلك السقف .

عمارة المسجد النبوى
(بعد الحريق الثانى سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م)

وإذا كان المسجد النبوى قد تعرض للحريق الأول نتيجة إهمال قومته فإن الحريق الثانى كان قضاء وقدراً ، إذ إنه حدث بسبب سقوط صاعقة أصاب بعضها هلال المئذنة التى تقع فى الركن الجنوبى الشرقى والتى تعرف باسم المنارة الرئيسية وذلك فى عام سنة ٨٨٦ هـ / سنة ١٤٨١ م .

ويحدثنا السمهودى عن هذا الحريق وسببه ، حديث شاهد عيان فيقول لقد احترق المسجد النبوى أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان ، وذلك أن رئيس المؤذنين وصدر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد بن الخطيب قام يُهَلِّلُ حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية ، وصَعِدَ المؤذنون بقية المنائر ، وقد تراكم الغيمُ حصل رعد قاصف أيقظ النائمين ، فسقطت صاعقة أصاب بعضُها هلال المنارة المذكورة ، فسقطت فى المسجد ولها لهب كالنار ، وانشق رأسُ المنارة ، وتوفى الريس المذكور لحينه صِعقاً ففقد من كان على بقية المنائر صوته ، فنادوه فلم يجب ، فصعد إليه بعضهم فوجده ميتاً .

وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبه ثقباً كالترس ، وعلقت النار فيه وفى السقف الأسفل ، ففتح الخدام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد وقبل إسراجه ، ونودى بالحريق فى المسجد ، فاجتمع أمير المدينة وأهلُها بالمسجد الشريف ، وصَعَدَ أهلُ النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار ، وقد التهبت سريعاً فى السقفين ، وأخذت لجهة الشمال والمغرب ، فعجزوا عن

إطفائها ، وكلما حاولوه لم تزدد إلا إلتهاباً واشتعالاً ، فحاولوا قطعها بهَدْم بعض ما أمامها من السَّقْف ، فسبقتهم لسرعتها ، وتطبق المسجد بدخان عظيم .

فخرج غالب مَنْ كان به ، ولم يستطيعوا المكث ؛ فكان ذلك سبب سلامتهم ، وهرب مَنْ كان بسطح المسجد إلى شماليه ، ونزلوا بما كان معهم من حبال الدِّلاء التى اسْتَقَوْا بها الماء بخارج المسجد على المضيأة والبيوت التى هناك وما حول ذلك ، وسقط بعضهم فهلك ، ونزل طائفة منهم إلى المسجد من الدَّرَج فاحترق بعضهم ولجأ بقيتهم إلى صحن المسجد مع مَنْ حالت النار بينه وبين أبواب المسجد ممن كان أسفل ، ومنهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد بن المكين المعروف بالعوفى ، فمات بعد أيام لضيق نفسه بسبب الدخان مع توعُّك سابق ، رحمه الله[1] .

واحترق من الخدام الزينى شند نائب خازن دار الحرم ، تغمده الله برحمته . ! ومات جماعة تحت هَدْم الحريق من الفقراء وسُودَان المدينة ، وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفساً ، وكانت سلامة من بقى بالمسجد على خلاف القياس ؛ لأن النار عظمت جداً حتى صارت كبحر لجى من نار ، ولها زفير وشهيق وألسن تصعد فى الجو ، وصار لفحها يؤثر من البعد حتى أثرت فى النخلات التى بصحن المسجد ، وعلق منها شيء بالمنارة الرئيسية فاحترقت ، ووصلت النار لثياب الريس شمس الدين محمد رحمه الله تعالى فاحترقت بعد موته .

وصارت النار ترمى بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد ، ومع ذلك فلا تؤثر فيها ، حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق ، وحمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد إلى صحنه فأصابها الشرر فأحرقها .

ونقل عن جمع كثير أنهم شاهدوا حينئذٍ أشكال طيور بيض كالأوز يحومون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران .

وأخبر أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين فيصل الجمازى أن شخصاً

(١) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٦٣٢ .

من العرب صادق الكلام رأى فى المنام ليلة ثانى عشر من شهر رمضان أن السماء فيها جراد منتشر ، ثم أعقبته نار عظيمة ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم النار وقال لها : أمسكها عن أمتى ، فجزاه الله عن أمته ـ خصوصاً عن جيرانه ـ أفضل ما جزى نبياً عن أمته .

ويقول الشمس [1] العثمانى : هذا ما حصل لأهل المدينة الشريفة من الدهشة العظيمة والحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار ومنظرها الفظيع ، حتى أيقن بعضهم بالهلاك ، وانتقل بعض أهل الدور منها لما وصل إليهم الشرر ، وخرج بعضهم من باب المدينة الذى يلى البقيع ، وبعضهم من بابها الذى يلى المصلى ، وظنوا أن النار محيطة بهم .

قال الشمس العثمانى : وصار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضجيج ، وبالدعاء عجيج ، قال : وأمر هذه النار عجيب ، وليس الخبر كالمعاينة ، وصار المسجد كالتنور ، ولم يمض أقل من عشر درج وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ، غير ما وقعت المبتدرة لإخراجه أولاً وهو يسير ، وغير القبة التى بصحن المسجد ، وسبق ذكر سلامتها فى الحريق الأول . وكنت قد تركت كتبى بالخلوة [2] .

فاتفق أن أمير المدينة حسن بن زبيرى المنصورى حضر بجماعة مع الاستعداد بالأسلحة والسيوف المسلولة ؛ فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الأول عام أحد وتسعمائة .

وأمر خازندار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل ، فامتنع من ذلك ، فضربه ضرباً مُبرحاً ، ثم عمد إلى باب الحاصل وأحضر فأساً وكسره وأخذ جميع ما فيه من النقد والقناديل والسبايك ، فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين وبغل وغراير تسع على ظهور الحمالين ، ثم ذهب إلى حصنه وأحضر الصياغ وسبك تلك القناديل وذكر أنه

---

(١) شمس العثمانى ص ٩٥ .

(٢) شمس العثمانى ، ص ٩٦ .

صنع ذلك إمرة المدينة ؛ لأن ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الأشرف إليهُ أمر الحجاز وأن المشار إليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الإقطاع ومن الصدقات ، وعطل عليه أهل مصر بعض إقطاعه ، فحمله ذلك على ما سبق .

بعد هذا العرض الموجز لما تم من عمارة المسجد النبوى فى العهد المملوكى بعد الحريقين اللذين تعرض لهما المسجد فى سنة ٦٥٤ هـ فى عهد دولة المماليك البحرية وفى سنة ٨٨٦ هـ فى عهد المماليك الجراكسة ، نود أن نجمل المبالغ التى رصدت والمواد التى استعملت فى إصلاح وتعمير المسجد النبوى الشريف .

ولما بلغ الخبر السلطان الأشرف قايتباى خبر الصاعقة واحتراق المسجد وجه الأمير سنقر إلى المدينة لعمارة المسجد ومعه ما يزيد على مائة صانع والآلات اللازمة ، وشرعوا فى العمارة فبدأوا بالمئذنة الرئيسية فبنوها ، ثم بنوا الجدار القبلى والشرقى إلى باب جبريل .

وزادوا فى عرضه يسيراً ، ووسعوا المحراب العثمانى وأقاموا عليه قبة على رؤوس الأساطين التى حوله بعد أن دعموا كل أسطوانة بأخرى وربما دعموا الواحدة بأربع .

وأقاموا على جدر الحجرة النبوية قبة فوق السقف الذى كان عليها ، وجعلوا فوق القبة قبة أخرى أقيمت على الأساطين والدعائم التى أحدثوها فضيقت الجهة الشرقية فخرجوا بجدار المسجد ذراعين وربعاً .

وأحدثوا أسطوانة فى رأس مثلث الحجرة ، وأقاموا قبة كبيرة تحيط بها ثلاث صغيرة بين الحجرة النبوية والجدار القبلى ، وقبتين أخريين أمام باب السلام من الداخل .

وبنوا هذا الباب بالرخام الأسود والأبيض ، وزخرفوه كما زخرفوا المحراب العثمانى ، وأعادوا ترميم الحجرة الشريفة وما حولها والجدار القبلى ، وصنعوا منبراً ، واتخذوا « دكة » للمؤذنين من الرخام ، وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى النبوى .

واتخذوا محراباً مجوفاً للمسجد الشريف فى دعامة أقاموها بين المنبر والقبر على حد مسجده الأصلى ، وزخرفوا هذا المحراب بالرخام الملون ، وجعلوا المقصورة فى محلها الأول . وبنوا الجدار الغربى من باب الرحمة إلى باب السلام ، وبنوا مئذنة باب الرحمة .

وجعلوا الأعمدة قصيرة فوقها عقود من الآجر عليها السقف من الخشب ، وبنوا مدرسة بجوار المسجد بين باب السلام وباب الرحمة ، ولا تزال باقية للآن وتعرف بالمحمودية ، وقد أنفق قايتباى على هذه العمارة ما قيمته ١٢٠٠٠٠ دينار أو ما يقرب من ٦٠٠٠٠ جنيه[1] .

(١) معالم دار الهجرة ص ٢٥٥

عمارة المسجد النبوى فى عهد الدولة السعودية

لقد افتتح المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية عهده فى الحجاز بترميم المسجد النبوى الشريف فأمر بترميم أرض المسجد مما يلى رحبته فى الجهات الأربعة وكان ذلك (١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م) . كما قويت الأعمدة التى حدث بها تشقق وذلك بربطها بأطواق حديدية وذلك فى أعمدة الجهة الشرقية والغربية للرحبة ، وقد تم ذلك (١٣٥٠ هـ / ١٩٣٥ م) .

وفى (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) رممت كل الأجزاء المتصدعة بالمسجد النبوى من الأعمدة والجدران والنوافذ والأبواب ، وكذا طلاء المسجد من الداخل والخارج ، وذلك من الأموال الموقوفة عليه بمصر .

وفى أوائل عام ١٣٦٨ هـ أصدر جلالة الملك عبدالعزيز آل السعود ، رحمه الله ، بياناً إلى العالم الإسلامى يبشر بعزمه على توسعة المسجد النبوى ثم أصدر أوامره إلى الحكومة بإنشاء مكتب خاص لمشروع التوسعة زود بالموظفين والمهندسين والفنيين . وتشكيل لجنة لتقييم قيم العقار ووضع المخططات اللازمة للتوسعة .

على أن التفكير فى مشروع المسجد النبوى الشريف لم يكن طارئاً لدى المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود بل إنه كان يجول فى خاطره منذ أمد بعيد حتى أذن الله سبحانه وتعالى له أن يخرج إلى عالم الوجود .

ففى عام ١٣٦٨ هـ تفضّل جلالته فأصدر كتاباً مفتوحاً موجهاً إلى جريدة المدينة يبشر فيه العالم الإسلامى بعزمه على توسعة المسجد النبوى الشريف ، وقد نشر هذا

الكتاب فى الجريدة المذكورة فى عددها الصادر بتاريخ رمضان عدد ٣٠١ سنة ١٣٦٨ هـ .

ومنذ ذلك التاريخ أخذ المشروع طريقه للدرس حتى وصل إلى المراحل العملية وفيما يلى تفاصيل مراحل العمارة الجليلة فى أدوارها المختلفة .

فى اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ هـ بدأ فى تنفيذ مشروع عمارة الحرم النبوى الشريف ، وكان أول ما بدأ به هو الدور المحيطة بالمسجد والتى انتزعت ملكيتها واستمر العمل جارياً فى نقل أنقاضها ومتخلّفاتها وكل ما استلزمه الحال .

ومن ثم فقد بدىء فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٢ هـ فى بناء العمارة الشريفة . وفى شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ زار جلالة الملك سعود المدينة المنورة وبنى بيده عمارة المسجد ووضع أربعة أحجار فى إحدى زوايا الجدار الغربى بالمسجد الشريف تأسياً بالنبى صلى الله عليه وسلم .

كما أُنشىء مكتب خاص لمشروع التوسعة الذى أمر بتكوينه جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وبه أكثر من خمسين موظفاً يعملون فى الأعمال الإدارية والفنية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة لمثل هذا العمل الجليل مثل : المكتب الرئيسى ـ قسم التحرير ـ القسم الحسابى ـ قسم الصندوق ـ القسم الفنى ـ قسم المستودعات .

كما شكلت لجنة خاصة من كبار رجال المدينة لتقدير قيم العقار وقد روعى فى ذلك مصلحة أصحاب الأملاك وقُدِّرت لهم بأوفى ثمن .

وقد بلغت مساحة الأراضى والدور والأملاك التى انتزعت ملكيتها للتوسعة والشوارع والميادين التى حول المسجد النبوى الشريف (٢٢٩٥٥) متراً مربعاً كذلك أُنشىء من أجل العمارة مصنع مخصوص لعمل الأحجار الصناعية (المزايكو) وزوّد بكافة الأدوات الميكانيكية واختير له مكان فى منطقة أبيار على حيث جلب له مهندسون أخصائيون وعمل تحت إشرافهم أكثر من أربعمائة عامل .

وكان عدد المهندسين الذين عملوا بالحرم الشريف أربعة عشر مهندساً منهم اثنا عشر مصرياً وواحد من سوريا وواحد من باكستان ، وعمل تحت إشرافهم أكثر من مائتى عامل من المصريين والسوريين وعدد من الباكستانيين والسودانيين واليمنيين والحضارمة كما عمل معهم أكثر من ألف وخمسمائة عامل من السعوديين .

وقد استحضرت رافعات وسيارات ضخمة ودراكترات وآلات مختلفة ميكانيكية من أحدث الآلات الفنية وكلها عملت فى عمارة الحرم الشريف وزاد مجموعها على أربعين قطعة ، هذا وقد استعمل ميناء ينبع لترسو به البواخر التى تحمل الأخشاب والحديد والأسمنت وجميع مواد البناء اللازمة للعمارة الشريفة ثم تنقل هذه المواد على السيارات الضخمة للمدينة المنورة . وقد رست به أكثر من ثلاثين باخرة جاءت خصيصاً بمواد الحرم الشريف وقد بلغ مجموع ما أفرغته فى الميناء (ما يزيد على ثلاثين ألف طن) من الحديد والأسمنت والأخشاب والمواد المختلفة . وهذا وقد كان من الضرورى أن تخصص مصانع لهذا العمل الضخم فأنشئت ورشة خاصة بالمدينة زوِّدت بالمهندسين الميكانيكيين والصنّاع وكلهم سعوديون لأجل تعمير وإصلاح السيارات والآلات الميكانيكية التى تعمل بالعمارة الشريفة .

لم يكن يمضى على التوسعة السعودية الأولى سوى عام واحد حتى ظهر للمغفور له الملك فيصل رحمة الله عليه ، الحاجة الملحة إلى زيادة رقعة المسجد النبوى نظراً لازدياد عدد الحجيج للأسباب السالف الإشارة إليها .

ومن ثم فقد أصدر الملك فيصل أمره بمباشرة هذه التوسعة الثانية للمسجد فى العهد السعودى . وقد رأى جلالة الملك فيصل بثاقب فكره ورغبة منه فى الحفاظ على كل ما يسجل[1] ويوثق تاريخ المسجد النبوى وعلى المدينة المنورة وذلك من خلال المبانى التى ما تزال باقية ، فقد رأى الاحتفاظ بمبانى المسجد القديمة بعد ترميمها ، كما

(١) وإلى الملك فيصل يرجع الفضل فى بقاء المبانى الأثرية القديمة بالحرم المكى ، فقد منع جلالته هدم المبانى القديمة ، بل أمر بترميمها وإضافة التوسعة المطلوبة حولها . ومن ثم فإن الحرم يحتفظ حتى الآن بوثائق تاريخية مسجلة على أعمدته ترجع إلى الخليفة المهدى العباسى (١٦٤ هـ) .

رأى إبقاء العمائر المحيطة من الجهة القبلية والشرقية وكذا الشمالية بقدر الإمكان على أن تكون الزيادة من الجهة الغربية .

وهكذا صدر أمر جلالة الملك فيصل رحمة الله عليه بمباشرة هذه التوسعة والتى قدر أن تتم كلها فى الناحية الغربية للمسجد بحيث تبدأ من الضلع الغربى وتمتد حتى تصل إلى الشارع العينى ، وبذلك يكون طول هذه الزيادة (١٦٥) متراً . كما تمتد من الجنوب (القبلى) الغربى إلى الشمال الغربى حتى (الساحة) بطول يبلغ مقداره (١٨٥) متراً تقريباً .

ومن ثم فإن مجموع مساحة التوسعة الجديدة ما ينيف على (٢٦٠٠) متر مربع وهكذا أصبحت الزيادة السعودية الثانية أكبر من مساحة المسجد القديم بما يساوى الثلث ، ذلك أن مساحة القديم كانت (١٦٣٢٧) متراً مربعاً .

وقد بدأ العمل فى هذه التوسعة منذ (١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ، وقد بلغ قيمة التعويضات عن الأملاك المنزوعة ملكيتها لهذه التوسعة ما يقرب من (٥٠) مليون ريال سعودى ، وإنا لنرجو أن تتم هذه التوسعة فى عهد صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز .

أما وصف المسجد الحالى فإنه يقع المسجد النبوى فى الجهة الشرقية من المدينة المنورة ، أما من حيث التخطيط العام فهو مستطيل الشكل ، يبلغ طوله من الجنوب إلى الشمال (١٢٨) متراً ، أما عرضه من الشرق إلى الغرب فيبلغ (٩١) متراً . ويتوسط المسجد صحنان غير مسقوفين ، كانا يسميان إلى عهد قريب بالحصوة ، نسبة إلى أنهما كانا مفروشين بالحصى ، أما الآن فقد كسيت الأرضية بالرخام الأبيض الجميل ، الذى يفرش بأجمل البسط فى أوقات الصلاة . ويفصل بين الصحنين ثلاث بوائك ترتكز على ثلاثة ضفوف من الأعمدة ، وتحصر بينها ثلاثة أروقة . وبرغم اتساع التوسعة السعودية إلا أنه يمكن تقسيم المسجد إلى قسمين متميزين أحدهما قديم يرجع إلى العصر العثمانى ، وهو الجزء القبلى والقسم الحديث وهو يقع إلى الشمال من الجزء القديم .

ويوجد بالقسم الجنوبى اثنتا عشرة باثكة تحتوى كل منها (٢٧) عموداً تقوم عليها عقود نصف دائرية ، تعلوها قباب ضحلة ، زخرفت باطنها برسوم زيتية قوامها

زخارف نباتية بالأسلوب التركى (والباروك والركوكو) الذى كان منتشراً فى تركيا وأوروبا ابتداء من القرن السادس عشر للميلاد . كما رسمت فى بعض القباب مناظر طبيعية تمثل مدينة اسطنبول وأدرنة وأنقرة وغيرها من المدن العثمانية الهامة .

وتفصل البوائك السالف الإشارة إليها بينها وبين جدار القبلة اثنا عشر رواقاً موازياً لحائط القبلة . ويبلغ عدد أعمدة إيوان القبلة (٣٢٧) بما فى ذلك الملتصق منها بالجدار الغربى والمقصورة الشريفة . وتبلغ مساحة الجزء القديم « إيوان القبلة » (٤٠٥٦) متراً مربعاً .

وقد بنيت أعمدة إيوان القبلة من حجر الصوَّان ، المكسى بطبقة من المرمر ، أما تيجانها فغالبها (كورنثية) المكون من أوراق (الكنكر) . وقد وشيت تيجان الأعمدة بماء الذهب . ويصل بين تيجان الأعمدة ، أعمدة ربط خشبية غلفت بصفائح من النحاس الأصفر . والغرض من أعمدة الربط هذه هو تقوية الأعمدة ، كما تستخدم فى نفس الوقت لربط سلاسل القناديل الذهبية والمشكاوات البلورية والزجاجية بها . كما يتدلى من سمت القباب الضحلة السابق الإشارة إليها والتى تغطى سقف إيوان القبلة سلاسل ذهبية وفضية يتدلى منها الثريات التركية والتنانير المملوكية . كما كسيت قواعد الأعمدة بالنحاس الأصفر .

وفى الجزء الجنوبى الشرقى من المسجد (بإيوان القبلة) توجد الحجرة النبوية الشريفة المحاطة بمقصورة من النحاس الأصفر يبلغ طول كل من ضلعها الجنوبى والشمالى (١٦) متراً ، أما الضلع الشرقى والغربى فيبلغ طول كل منهما (١٥) متراً . وبداخل المقصورة النحاسية بناء ذو خمسة أضلاع تمثل الشماليتان منها ساق مثلث ، والثلاث الباقية تكون أضلاع المربع . وارتفاع المبنى نحو ستة أمتار .

وفى هذا المبنى المتعدد الأضلاع يوجد قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجهة القبلية الغربية ثم يليه من الجهة الشمالية الشرقية قبر أبى بكر الصديق ثم إلى الشرق قليلاً قبر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

وهذا البناء المقام حول قبر الرسول صلى الله عليه وعلى صاحبيه رضى الله عنهما هو البناء الذى أقامه نورالدين زنكى لما بلغه اعتزام الصليبيين على محاولة إخراج الجثة

الشريفة . فبنى ذلك البناء ونزل بأساسه إلى منابع الماء ثم أفرغ عليه الرصاص حتى لا يستطيعوا له نقباً .

وفى شمال المقصورة النبوية ، توجد مقصورة نحاسية متصلة بالمقصورة الأولى ، يبلغ ضلعها الجنوبى (١٤) متراً أما الضلع الشمالى فيزيد نصف متر على الضلع الجنوبى . أما طول ضلعها الشرقى والغربى فيبلغ (٧٥) متر . وداخل هذه المقصورة ضريح يزعمون أنه قبر السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج على بن أبى طالب وأم الحسن والحسين سبطى الرسول . ولكن الراجح كما يثبت الثقاة من أهل السير أن قبرها بالبقيع .

ويوصل المقصورة الصغيرة بالمقصورة الكبيرة بابان بجدارها الجنوبى . ويوجد بالمقصورة الكبيرة باب فى ضلعها الغربى يسمى باب الوفود أو باب الرحمة . وإلى الجنوب من باب الرحمة وفى نفس الضلع الغربى للمقصورة الكبيرة توجد ، نافذة تسمى (شباك التوبة) . وللمقصورة الكبرى باب آخر فى ضلعها الجنوبى ، وبالضلع الشرقى ، كما يوجد باب سادس فى الضلع الشمالى ، مخصص لدخول الأغوات لإيقاد ثريات وقناديل ومصابيح الحجرة الشريفة .

ويحيط بالحجرة الشريفة أربعة أعمدة مزوية موضوعة فى أركان الحجرة الرابعة أقيمت عليها القبة الخضراء التى تعلو الحجرة الشريفة . وتقوم القبة على رقبة مرتفعة ملئت أركانها الأربعة من الداخل بمثلثات أسطوانية مقعرة (Splyrical Triangle Pendentive) .

وفى شمال مقصورة السيدة فاطمة دكة كدكة الأغوات ، قيل إنها متهجد النبى صلى الله عليه وسلم .

ويواجه الضلع الشمالى للمقصورة الصغيرة (الصفَّة) أو دكة الأغوات . وهى مستطيلة الشكل يبلغ طولها (١٢) متراً وعرضها (٨) أمتار وارتفاعها عن أرض الإيوان القبلى (٠,٤٠) متر .

ويوجد بإيوان القبلة ثلاثة محاريب مجوفة ، الأول فى حائط القبلة الجنوبى ، وهو المعروف بالمحراب العثمانى لأنه مبنى فى الزيادة التى أضافها عثمان بن عفان فى الجهة

الجنوبية من مسجد الرسول . وفى الرواق الثالث من إيوان القبلة يوجد محراب ثان يعرف بمحراب النبى ، وذلك لأنه مبنى فى الضلع الجنوبى للمسجد الذى بناه الرسول صلى الله عليه وسلم . والمحراب الثالث إلى الغرب من محراب النبى و يعرف النبى و يعرف باسم المحراب السليمانى نسبة إلى السلطان سليمان الثانى .

ومن الأبحاث القيمة والمفيدة التى كتبت عن بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته ومقبرته بعد مماته ، ذلك البحث الذى سجله محمد لبيب البتانونى فى كتابه (الرحلة الحجازية) التى قام بها (١٣٢٧ هـ/ ١٩١٠ م) من مصر فى معية الخديو عباس حلمى الثانى ، ومن ثم فقد رأينا تلخيصه .

يقول : من ينظر إلى الحجرة النبوية المشرفة الآن ، ويعلم أنها أقيمت مكان بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور ببيت عائشة . كما يفكر فى عدد أبوابها وتسمية كل باب باسم مخصوص ، هذا فضلاً على بيت السيدة فاطمة الذى كان بجانب بيته صلى الله عليه وسلم ، وإنه كان يحتوى على نافذة تطل على منزل أبيها ، والتى سدّت فيما بعد رغبة فى استقلال كل بيت عن الآخر . أقول من يعرف كل ذلك يرجح معى (أى البتنونى) بأن تخطيط بيت الرسول صلى الله عليه وسلم كان على النحو التالى .

ولعل من الأسباب القوية التى جعلت (البتنونى) يفكر فى أن بيت السيدة عائشة كان يشمل أكثر من حجرة ، هو ما ورد عن الإمام مالك وغيره من أصحاب السير ، فقد قسم بيت عائشة قسمين ، قسم كان فيه القبور الثلاثة ، وقسم كانت تسكن فيه عائشة ، وبينهما حائط . وذلك بعد أن دفن عمر رضى الله عنه ، ذلك أن عائشة ربما دخلت حيث قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوها (أبوبكر) ، فضلاً (أى سافرة) فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها . ومن ثم بنت الحائط .

من ذلك يستنتج (البتنونى) أن بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان به حجرتان . وإذا كنا لا نتفق مع ما ذهب إليه (البتنونى) من أن بيت عائشة كان به حجرتان ، إلا أننا نؤيده تمام التأييد فى أن بيت عائشة كان متسعاً بحيث سمحت مساحته أن يقسم إلى حجرتين إحداهما تضم قبر النبى صلى الله عليه وسلم وبجواره صاحباه ، والحجرة الثانية كافية لإقامة وسكن السيدة عائشة .

ومما يؤكد سعة الحجرة الشريفة بعد فصل الجزء الذى تسكنه السيدة عائشة ، أنه كان لها بابان ، فقد قال بعضهم إنه للشام (الشمال) وقال آخرون إنه للغرب ، لكن يستنتج من رواية ابن سعد فى طبقاته ، أنّ له بابين ، إذ يقول : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا (أى الصحابة) : كيف نصلى عليه ؟ قالوا : ادخلوا من ذا الباب إرسالاً إرسالاً فصلوا عليه وأخرجوا من الباب الآخر » .

ومما ورد كذلك فى بيت السيدة عائشة ، أنه كان به صفة إلى منزل فاطمة . ومما يؤدى وجود فتحة فى منزل عائشة إلى القبلة ، قول ابن زبالة وغيره « كان بين بيت حفصة ومنزل عائشة الذى به القبر الشريف طريق وكانتا تتهاديان الكلام وهما فى منزلها من قرب ما بينهما » .

وعليه فيكون بيت الرسول صلى الله عليه وسلم مدة حياته فى المدينة المنورة ، كما هو ظاهر فى التخطيط الذى استنتجته فى الرسم رقم (١) وكما هو واضح فى الرسم قد روعى فيه الوضع الصحى ، بمراعاة منافذه المنقية للهواء ، وكذا أبوابه الداعية إلى السهولة فى الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفرة الزمن والسرعة إلى المقاصد .

أما منبر المسجد فيوجد فى الرواق الثالث من إيوان القبلة ، وهو موضوع بين محراب النبى والمحراب السليمانى المعروف بالحنفى ، الأول عن يساره والثانى عن يمينه . ويمتد بين المنبر وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الروضة التى يبلغ طولها (٢٢) وعرضها (١٥) متراً . وتنتهى حدود الروضة من الجهة الجنوبية بحدود المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد وضع سور نحاسى يفصل بين الروضة وبين حائط المسجد القبلى ، أو بعبارة أخرى ، وبين زيادة عثمان بن عفان والتى يشغلها الآن رواقان . ويبلغ ارتفاع السور النحاسى الذى يفصل بين الروضة وحائط القبلة ما يقرب من مترين .

هذا ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى بلاطات القاشانى التى تزخرف وتكسى جدران إيوان القبلة (أى الجزء الذى يرجع إلى العصر العثمانى) فى جدار القبلة وجزء من الجدار الغربى وآخر من الجدار الشرقى . فقد حظى المسجد النبوى بمجموعة من بلاطات القاشانى النادرة المثال مما صنعته مصانع مدينة (أزنيك) واسطانبول (وكوتاهية) ،

وخاصة تلك التى احتوت على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى جانب الشعر الذى وضع فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة (بردة البوصيرى) . كما زخرفت المحاريب الثلاثة ببلاطات من القاشانى كانت غاية فى الدقة والإبداع .

أما عن المعلقات من القناديل والثريات والتنانير والمشكاوات التى أهديت للمسجد الشريف وللحجرة النبوية فلا نجد لها مثيلاً فى أى مكان آخر وحسبك أنها قومت فى أوائل القرن العشرين ، بسبعة ملايين من الجنيهات . وتتكون هذه المعلقات فى مجملها من (٦٢٠) قنديلاً من الذهب والفضة معلقة فى إيوان القبلة (أى الجزء القديم فقط) . كما علق فيه كثير من الثريات البلورية وتنانير يوقد فيها الشمع وشماعد على شكل أربع شجرات على أعمدة من البلور .

كما يوجد بالمقصورة (١٠٦) قناديل وضعت حول الحجرة الشريفة ، منها (٣١) غير البراقات فقد وضعت فى الرواق الذى يقع تجاه الوجه الشريف ، وكلها من الذهب المرصع بالماس والياقوت . والباقى يشبه قناديل المسجد معلقة بسلاسل الذهب .

ومن بين معلقات الحجرة الشريفة كذلك الثريات المتدلية من الدائرة التى تعلو الحجرة وهى من الجواهر الثمينة ومكانس من اللؤلؤ الفاخر . وشماعد عظيمة من الذهب الخالص المرصع بالماس الفاخر طول كل منها نحو قامة . ويقال أن ثمن الواحدة منها بلغ (٣٠٠,٠٠٠) جنيه . كما يوجد بالحجرة الشريفة مباخر وقماقم وأباريق وأكواب لماء الورد والعطور ، كلها من الذهب الخالص .

هذا ويوجد بالحجرة الشريفة كذلك ثلاثة محاريب فضلاً على محاريب إيوان القبلة السابق الإشارة إليها ، وهكذا يصبح عدد محاريب المسجد والحجرة الشريفة (ستة) . أما عن محاريب الحجرة الشريفة فهى محراب التهجد وهو خلف حجرة السيدة فاطمة خارج المقصورة النحاسية المحيطة بها وعلى الحجرة الشريفة من جهة الشمال ويقال إنه متهجد الرسول صلى الله عليه وسلم . والمعروف أن تهجده فى غير قيام رمضان كان بيته . وقد جدد هذا المحراب فى عمارة السلطان عبدالمجيد ، وكتب عليه ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .

أما المحراب الخامس ، فهو إلى الجنوب من محراب التهجد ويعرف بمحراب

فاطمة ، وهو داخل المقصورة التى تحيط بحجرة فاطمة . أما المحراب السادس فيقع إلى الشمال من دكة الأغوات أو مسطبتهم وهو محراب حديث عمل فى العمارة العثمانية الأخيرة . وكان موضعه مصلى شيخ الحرم فى العهود السابقة ، ويصلى به الآن شيخ الحرم صلاة التراويح .

أما الأجزاء الجديدة فى الحرم النبوى ، فهى التى ترجع إلى العهد السعودى ، وهى تشمل الرواق الشرقى الذى يحتوى على ثلاث بوائك قسمت إلى ثلاثة أروقة ، وكذا الرواق الغربى المماثل للرواق الشرقى . أما الرواق الشمالى فيحتوى على خمسة صفوف من البوائك تحصر بينها خمسة أروقة كذلك . ويبلغ عدد الأعمدة والدعائم التى تقوم عليها عقود البوائك (١١) الموجودة فى الإيوان الشرقى والغربى والشمالى (٣٦٢) عموداً ودعامة .

وتختلف عقود وأعمدة العمارة السعودية عن تلك التى عملت فى العهد العثمانى ، فهى أولاً مبنية من الخرسانة المسلحة ، كما أن العقود التى تعلو الأعمدة فهى مدببة وممتدة (Pointed Stilted Arches) وتاج العمود يتكون من زخارف نباتية مجردة ، وهى التى أطلق عليها الأربيون اسم (Arabesque) وذلك لأن العرب هم الذين ابتدعوها فعرفت باسمهم .

أما السقف الذى يعلو البوائك والأروقة فسطح ومقسم إلى مربعات يحتوى كل منها على وحدات زخرفية مرسومة بأسلوب الأرابيسك . وقد أحيطت تيجان الأعمدة بصفائح من النحاس الأصفر وقد ركب تحت الصفائح النحاسية (لمبات كهربائية) للإضاءة . ومن ثم فلا يوجد فى التوسعة السعودية أية معلقات .

ويبلغ عدد النوافذ فى التوسعة الجديدة (٤٤) نافذة بواقع (٢٢) فى كل من الضلع الغربى والضلع الشرقى . أم أبواب المسجد فعددها تسعة بواقع ثلاثة فى كل ضلع من الأضلاع ما عدا جدار القبلة . ففى الضلع الغربى نجد باب السلام وهو ملاصق للضلع الجنوبى للمسجد . وفى امتداد باب السلام إلى الجهة الشمالية نجد باب الرحمة ، وبينهما خوخة أبى بكر الصديق . وفى منتصف الضلع الغربى وفى مقابلة البوائك التى تفصل الصحن الأول عن الثانى يوجد باب سعود .

أما الضلع الشرقى فنجد بابين فى الجزء القديم من المسجد وهما باب جبريل ثم إلى جانبه من الجهة الشمالية باب النساء . وفى مقابلة باب سعود وفى الضلع الغربى يوجد باب عبدالعزيز . كذلك يوجد فى الضلع الشمالى ثلاثة أبواب أولها من جهة الشرق باب عثمان بن عفان وفى الوسط باب عبدالمجيد ثم إلى الغرب باب عمر بن الخطاب .

من المعروف أن المسجد النبوى لم يكن له مآذن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذا فى عهد الخلفاء الراشدين ، وإنما كان يؤذن على اسطوانة بدار عبد الله بن عمر ، وهى المعروفة الآن بدار العشرة وهى فى قبلة المسجد . فقد كان بلال يرقى إليها على سبعة أقتاب[1] ، فلما كانت زيادة الوليد أحدث عمر بن عبدالعزيز ، عامله على المدينة ، فأقام أربع مآذن فى كل زاوية مئذنة .

وكانت المئذنة التى عند باب السلام مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبدالملك أذن المؤذن ، فأطل عليه ، فأمر بهدم تلك المئذنة .

وفى العصر المملوكى أعاد بناءها (٧٠٦ هـ/ ١٣٠٦م) السلطان محمد بن قلاوون وقيل أعادها شيخ الحرم شبل الدولة كافور المظفرى . أما المئذنة التى على باب الرحمة فقد أنشأها السلطان قاتيباى .

وهكذا كان بالمسجد خمس مآذن ، فى كل ركن من أركانه الأربعة مئذنة وخامسة أمام باب الرحمة . وكانت المئذنة التى فى الزاوية الجنوبية الغربية تسمى بمئذنة باب السلام وهى عثمانية الطراز فهى تنتهى بما يشبه المسلة أو قلم الرصاص ، والتى فى الزاوية الجنوبية الشرقية تسمى المئذنة الرئيسية وهى التى يؤذن عليها رئيس المؤذنين وهى ترجع إلى عهد السلطان قاتيباى . أما التى تقع فى الركن الشمالى الشرقى فتسمى المئذنة السليمانية والتى فى الركن الشمال الغربى فتسمى المئذنة المجيدية .

وقد أزيلت ثلاث مآذن فى التوسعة السعودية ، وهى مئذنة باب الرحمة فى الضلع الغربى للمسجد ، كما أزيلت المئذنتان الشمالية الغربية أى المئذنة المجيدية ، والتى فى الركن الشمالى الشرقى وهى المعروفة بالمئذنة السليمانية .

---

(١) القتب : الإكاف على قدر سنام البعير.

وقد أقيم فى العمارة السعودية مئذنتان فى إحداهما فى الركن الشمالى الغربى والثانية فى الشمالى الشرقى ، ويبلغ ارتفاع كل منهما (٧٠) متراً ، كما حفر أساس كل منهما (١٧) متراً . وتتكون كل مئذنة من أربعة طوابق الأول ويبدأ من بداية جدران المسجد ، وهو مربع الشكل ينتهى بشرفة مربعة كذلك تقوم على كوابيل مكونة من ثلاثة صفوف من الدلايات . وبكل ضلع من أضلاع الطابق الأول من المئذنة وتوجد فتحة ضيقة مزججة تمتد من قرب القاعدة وتنتهى إلى ما يقرب من كوابيل الشرفة . وهذه الفتحات القصد منها الإضاءة فضلاً على تجميل وزخرفة الطابق الأول من المئذنة . وينتهى الطابق الأول إلى ما يعلو جدار المسجد بمقدار الثلث .

أما الطابق الثانى للمئذنة فثمن الشكل وينتهى بشرفة مثمنة ترتكز على ثلاثة صفوف من الدلايات . وقد فتح فى كل وجه من أوجه المثمن فتحة ممتدة يعلوها عقد ذو زاوية (Keelarch) ويعلو الفتحة نافذة مستديرة (Bull;seye) . وبأسفل الطابق فتحت أربعة نوافذ مربعة الشكل .

ويتكون الطابق الثالث من شكل اسطوانى خالى الفتحات ومن ثم فقد زخرف بأحجار ملونة بأسلوب الأبلق ، على شكل متعرج (Zigzag) . أما الطبق الرابع فيتكون من ثمان أعمدة تنتهى بشرفة تقوم على صفين من الدلايات . ويعلو الطابع الرابع بشكل (مقبب) يعرف باسم خوذة المئذنة يعلوها هلال من النحاس وبه مانعة للصواعق .

مسجد مصلى العيد
المعروف بمسجد الغمامة

ويعرف الآن بمسجد الغمامة .

وأول عيد صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٢ هـ ؛ وكان يصلى فى الفضاء ، وكانت تحمل إليه الْعَنَزَةَ[١] فيصلى إليها .

وكانت العنزة للزبير بن العوام ـ أعطاه إياها النجاشى . فوهبها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يخرج بها بين يديه يوم العيد .

وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العيد فى أماكن مختلفة ؛ ولكنه فى سنته الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاه المعروفة الآن بالمناخة غربى المدينة .

روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يستسقى ، ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا ، فلا يبنى فيه لبنة على لبنة .

وفى رواية أخرى : « هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينقص منه شىء » .

---

(١) العنزة . رميح قصير بين العصا والرمح فى أسفله زج . والزج هو الحديد الذى فى أسفل الرمح .

وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبل الناس فيخطبهم ، ولم يكن له منبر يقوم عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريق ويقضى حاجة من له حاجة .

وقد صلى الرسول فى أماكن مختلفة ولكنه فى سنته الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاه المعروف الآن بالمناخة غربى المدينة[1] .

وقد جاء فى زاد المعاد[2] « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى الذى على باب المدينة الشرقى وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، ويظن إبراهيم رفعت أن كلمة الشرقى سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناخة فى الجهة الغربية .

وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول ١٠٠٠ ذراع ولم يكن به بناء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء وقد ثبت النهى عن تضييقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يستسق فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة » وفى بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينقص منه شىء .

وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبلاً الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه كما دل على ذلك حديث أبى سعيد الخدرى فى البخارى ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شىء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشىء أمر به ثم ينصرف .

---

(١) مرآة الحرمين جـ١ ص ٤٢١ .

(٢) زاد المعاد جـ١ ص ١٢٠ .

فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت وإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى فجذبته بثوبي فجذبني فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبوسعيد قد ذهب .

وكان صلى الله عليه وسلم يطهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريق ويقضى حاجة من له حاجة .

وقد صلى الرسول فى أماكن مختلفة ولكنه فى سنيه الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاة المعروف الآن بالمناخه غربى المدينة[1] .

وقد جاء فى زاد المعاد[2] « أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يصلى العيدين فى المصلى الذى على باب المدينة الشرق وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، ويظن ابراهيم رفعت أن كلمة الشرق سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناخة فى الجهة الغربية .

وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول (١٠٠٠) ذراع ولم يكن به بناء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء ، وقد ثبت النهى عن تضيقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنه على لبنه ولا جهة » وفى بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينقص منه شئ .

وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبلا الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه ، كما دل على ذلك حديث أبى سعيد الخدرى فى البخارى ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى

(١) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٢١ .

(٢) زاد المعاد جـ ١ ص ١٢٠ .

فأول شئ يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ، ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعة أو يأمر بشئ أمر به ثم ينصرف فقال أبوسعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، وإذا مروان يريد أن يرتقبه قبل أن يصلى فجذبته بثوبى فجذبنى فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبوسعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خيراً مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة[1] .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الإسلام . والطريق العظمى هى المعروفة بدرب السويقه والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهى ضعف المسافة وسور المدينة يمنع الآن سلوكها .

ولم تتحدث المصادر عن شكل مبنى المسجد المسقط ، بل إن العديد منها لم يشر إلى المسجد إطلاقا . وكان السمهودى[2] أول من تكلم عن المسجد بإسهاب ، ولن كان يتساءل عن أصل بناء المسجد . فيقول : وعمارته الموجودة اليوم لا أدرى لمن تنسب .

ويشير السمهودى بعد ذلك إلى تجديد المسجد فى عهد السلطان المملوكى البحرى حسن بن قلاوون مدعما ذلك بنص تاريخى كان موجودا على زمنه بأعلى باب المدخل ، « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهابه عزالدين شيخ الحرم الشريف النبوى وذلك فى أيام السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحى »[3] .

---

(١) البخارى : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر .

(٢) وفاء الوفا جـ ٢ ص ٨٣٥ .

(٣) هو بردك التاجى الأشرف برسباى ، أمير عشرة ، ولى بمكة فى عهد الظاهر حقمق (٨٤٢ هـ) نظر الحرم .. وشاد العمائر ، ثم أرسل سنة ٨٦١ هـ فى عهد السلطان اينال لعمل إصلاحات بالحرم النبوى (السنحاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٦ ، أبوالمحاسن جـ ١٤ ص ٢٢٩) لعل ذلك تم فى آخر أيام الناصر محمد بن قلاوون عندما استتب له الأمر فى السلطنة وذلك سنة ٧٦٣ هـ .

وقد كان ذلك التجديد قبل عام (٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م) وهو تاريخ وفاة شيخ الحرم عزالدين . ويتضح من ذلك النص أن المسجد لم تنله يد الإصلاح قبل ذلك ، ولعل وجوده فى حالة خربه كان داعيا لعدم الإشارة إليه فى كتابات مؤرخى المدينة المنورة .

وقد أجريت اصلاحات بالمسجد فى عهد السلطان المملوكى الجركسى إينال على بردبك المعمار[1] ، وأضاف السمهودى فقال : إن بردبك عمل منصة (دكة) خارج المسجد أمام الباب خصصت لجلوس المبلغين وذلك (٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م) .

ويقول ابراهيم رفعت[2] :

« وقد رحم الأمير بردبك المسجد (٨٦١ هـ) فى دولة الأشرف اينال وأحدث سقفا خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجا خارجه على ميمنه الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب . أما المسجد الآن ، فإنه ذو قباب ثمانيه ، ومبنى بناء متقنا بالآجر الأسود . والذى بجواره الآن مسجد عثمان . والمنزل ذو الرواشن الذى باليمين لأمين أفندى برى ، شيخ الفراشين بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين » .

ويرجع الانشاء العثمانى الحالى إلى عمارة السلطان عبدالمجيد الأول (١٢٥٥ هـ - ١٢٧٧ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١ م) فكان ذلك قبل عام (١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م) . وقد أشار إلى ذلك الانشاء عبدالقدوس الأنصارى[3] ، وقرأ النص التاريخى المحفور على لوح خشبى كان مثبتا على حائط القبله (غير موجود حالياً) النص التالى : ﴿ إنما يعمر[4] مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ . اللهم شفع النبى فى مجدده السلطان عبدالمجيد خان عز نصره .

---

(١) ابراهيم رفعت جـ ١ ص ٤٢٠ .

(٢) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٢١ .

(٣) المدينة المنورة ص ١١٩ .

(٤) سورة التوبة آية رقم (١٨) .

ثم جدد المسجد بعد ذلك فى العصر السعودى ، وذلك عام (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م) وهو تاريخ مسجل على ضلفتى الباب عن يمين الباب الأوسط ، وهذا هو النص : (بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيق إلا بالله . النجار عطا (١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣ م) . كذلك يوجد على الجزء العلوى من الأبواب الجانبية بالواجهة الشمالية الآية الكريمة ، الضلفه اليمنى : بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى الضلفه اليسرى : ادخلوها بسلام آمنين) .

الوصف المعمارى لمسجد المصلى أو الغمامة

:

يتكون المسجد من مستطيل يبلغ طوله (٢٦) مترا وعرضه (١٣) مترا وارتفاعه عن مستوى الأرض (١٢) مترا . وينقسم المسجد إلى قسمين ، إيوان القبلة والثانى المدخل ذو السقيفه ((Portico)) . ويشغل ايوان القبلة مستطيلا طوله (٢٦×٩) مترا ويحتوى على رواقين موازيين لحائط القبلة . ويغطى كل رواق ثلاثة أقباء تقوم على عقود مدببه وعلى أربعة مقرنصات (Squinches) فى الأركان . وبين كل قبتين يوجد أقباء متقاطعة ((cross - vaults)) .

أما المدخل ذو السقيفه ((Portico)) الذى يتقدم إيوان القبلة فينقسم إلى خمسة مربعات تتقدمه أربع دعائم . ويغطى سقف السقيفه خمس قباب مختلفة الأحجام ، أكبرها تلك التى تقع بجانب الضلع الشرقى والغربى ، وتتدرج القباب فى الصغر حتى القبه الوسطى العموديه على محراب إيوان القبله .

ويتقدم المدخل ذو السقيفه ساحة مكشوفة تنتهى بخمس درجات تحيط بالساحة من جهاتها الثلاث خمس درجات .

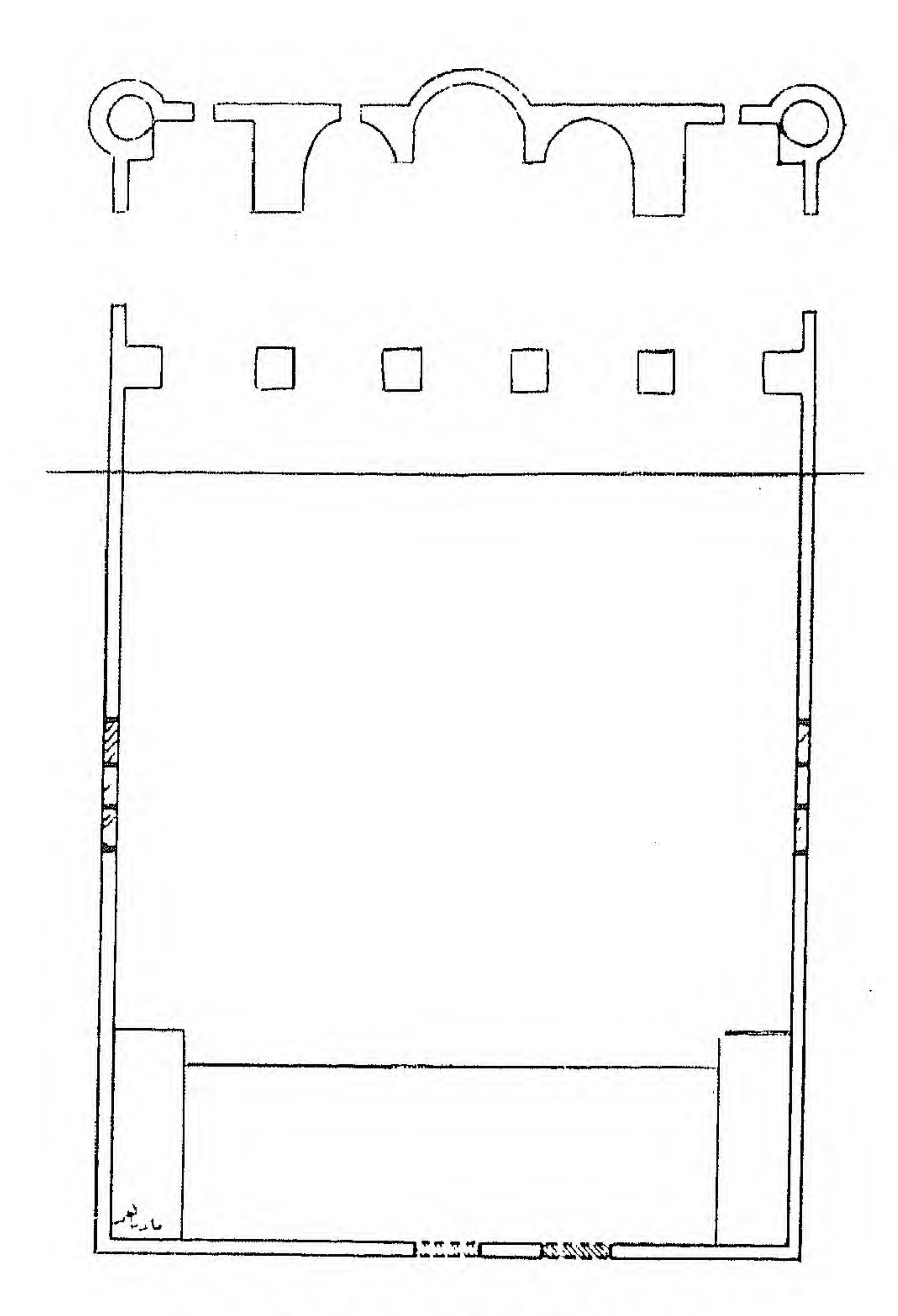
ويتكون المحراب من حنية ذات سبعة أضلاع ويعلوه عقد مفصص ويكتنفه عمودان ملتصقان ، تيجانهما على شكل ناقوس . وإلى اليمين من المحراب يوجد المنبر الرخامى . ويتكون المنبر من تسع درجات تنتهى من أعلى بقبة مخروطيه . ويتقدم المنبر ضلفتا باب من الخشب عليه كتابة ، عبارة عن جملة دعائية باللغة التركية ، كما يوجد

على عتب باب المنبر السورة القرآنية الآتية [1] : ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ويعلو ضلفتى المنبر العبارة الآتية : ﴿ هذا من فضل ربى ﴾ .

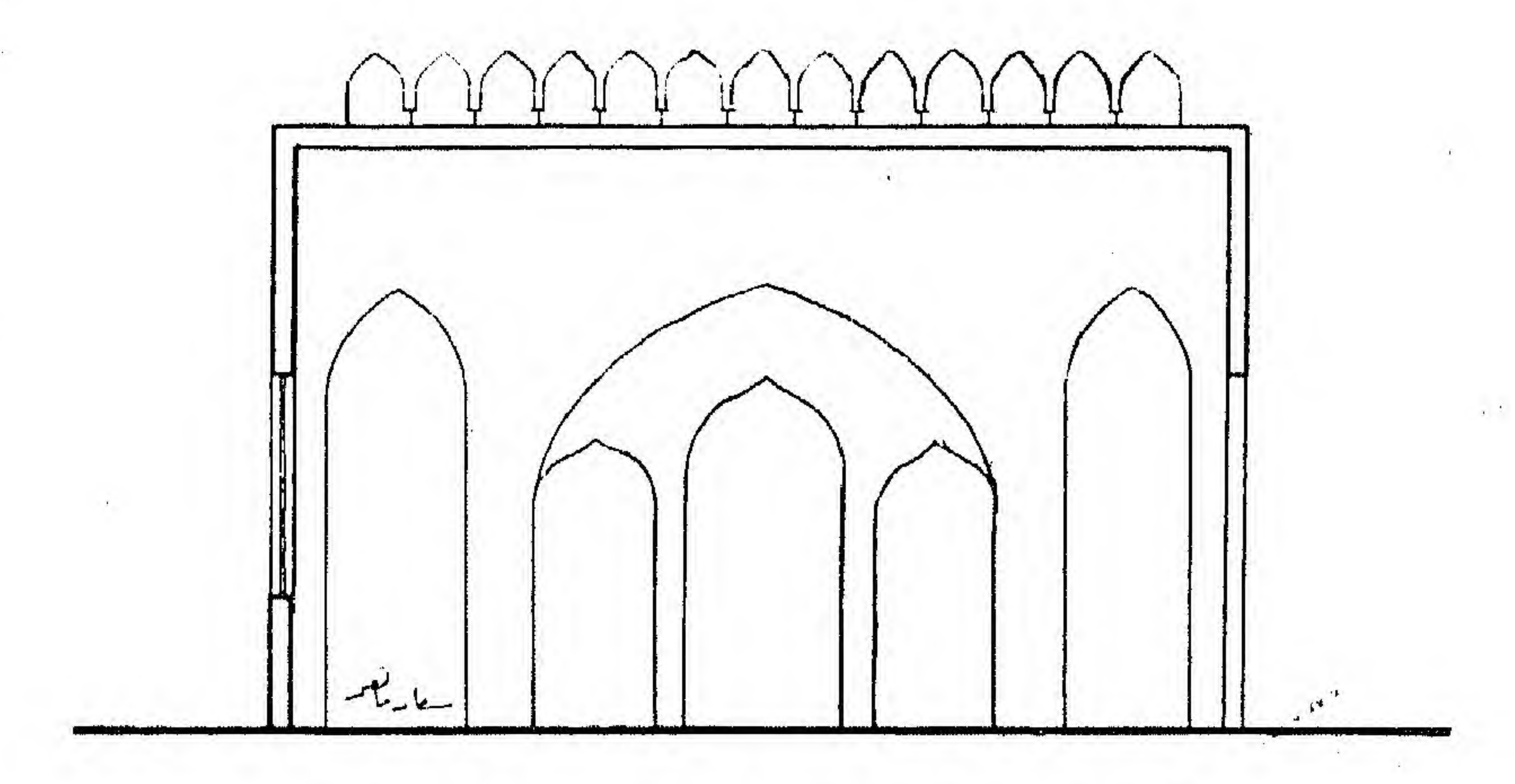
أما المئذنة فتقع فى ركن المبنى وتتكون من ثلاثة طوابق السفلى منها مربع بارتفاع حائط المسجد ، والطابق الثانى مثمن ، وينتهى بشرفة لها (درابزين) من الخشب ويعلو المثمن طابق أسطوانى تحيط به شرفه وبالاسطوانه باب للخروج إلى الشرفه . وتنتهى المئذنة بقبه مشكلة بهيئة فصوص يعلوها ناقوس ويتوجها هلال .

(١) سورة النمل آية رقم (٣٠)

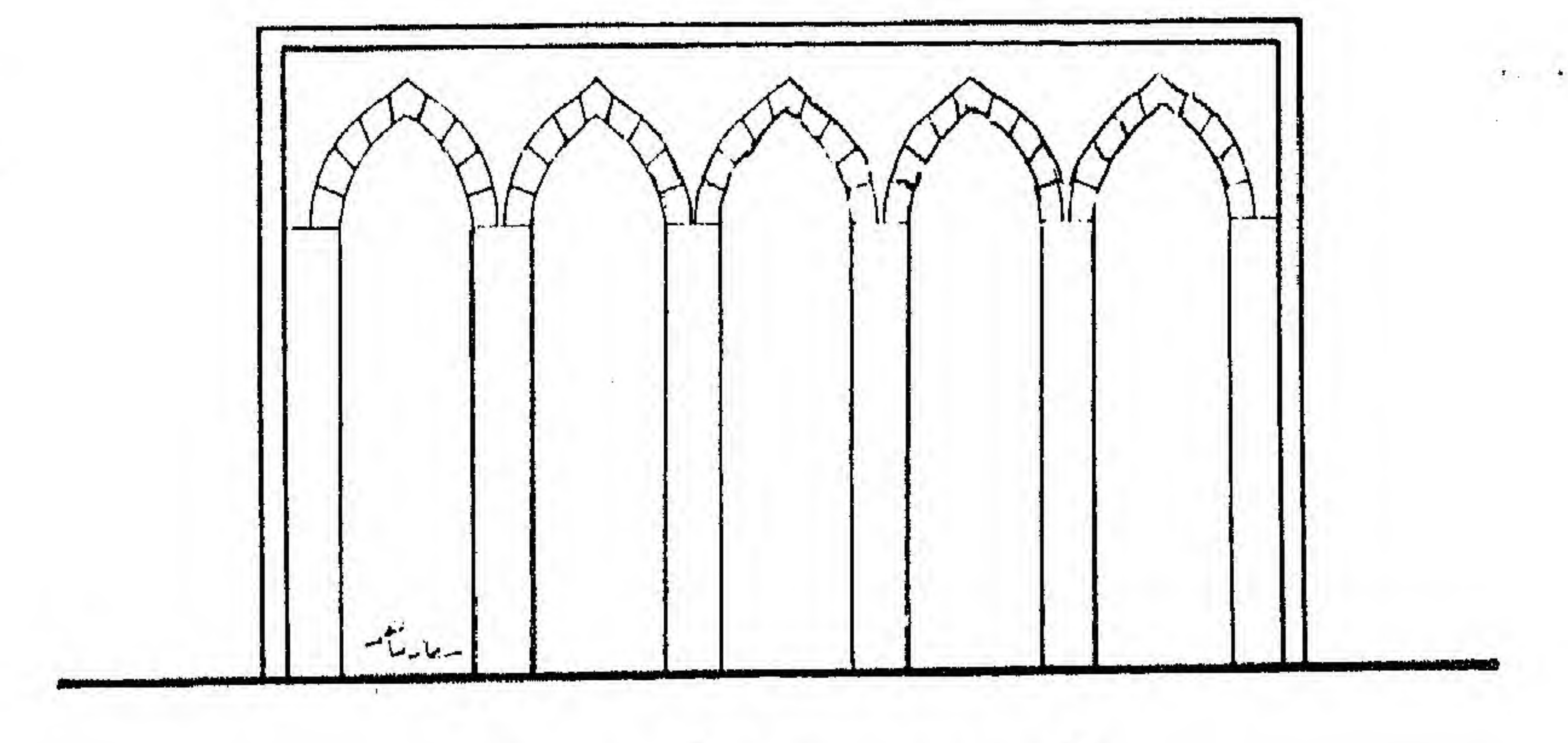
الصور واللوحات



شكل رقم (١) تخطيط مسجد البيعة الكبرى .

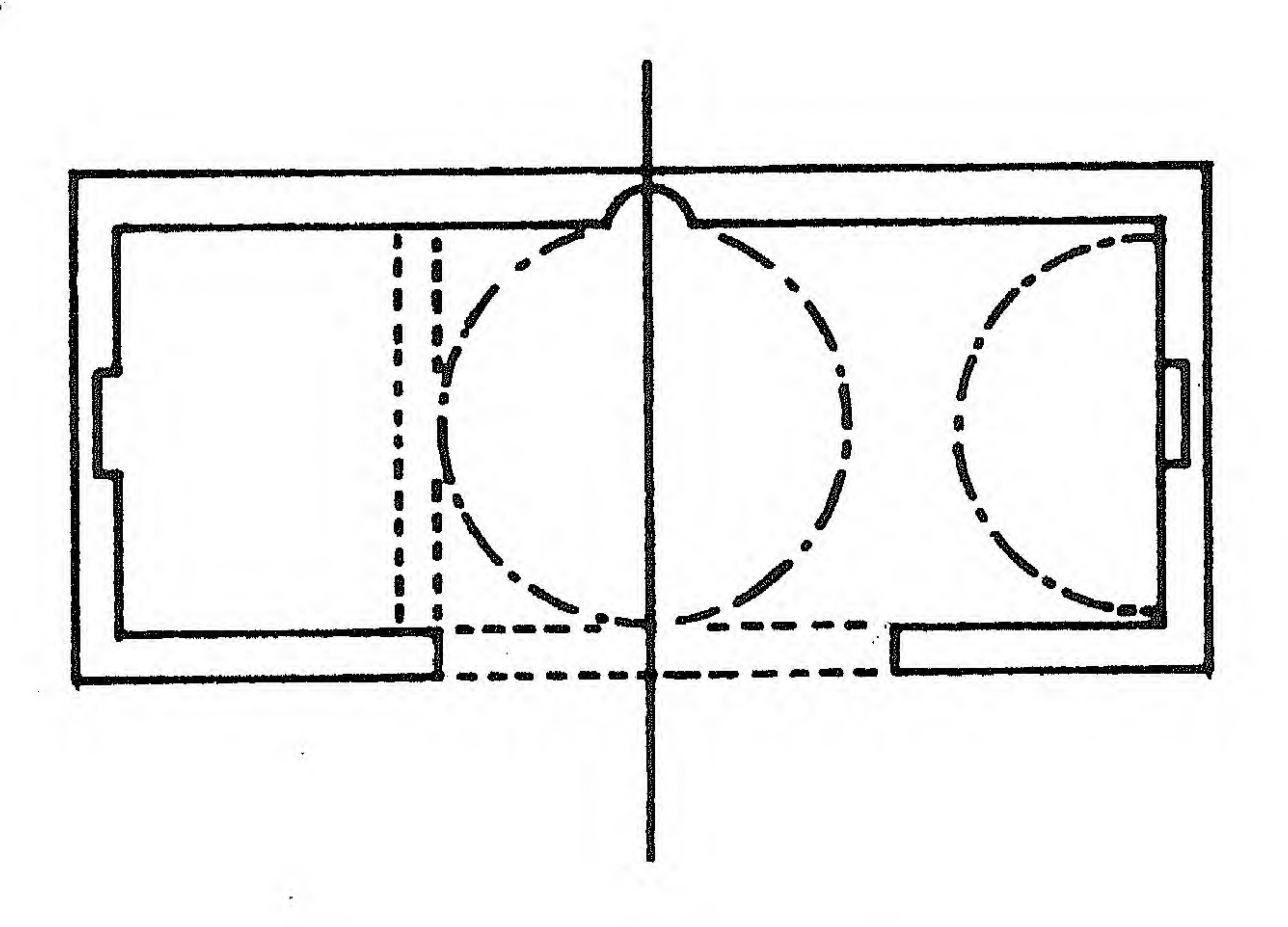


شكل رقم (٢) قطاع رأسى أ.ب (مسجد البيعة الكبرى) .

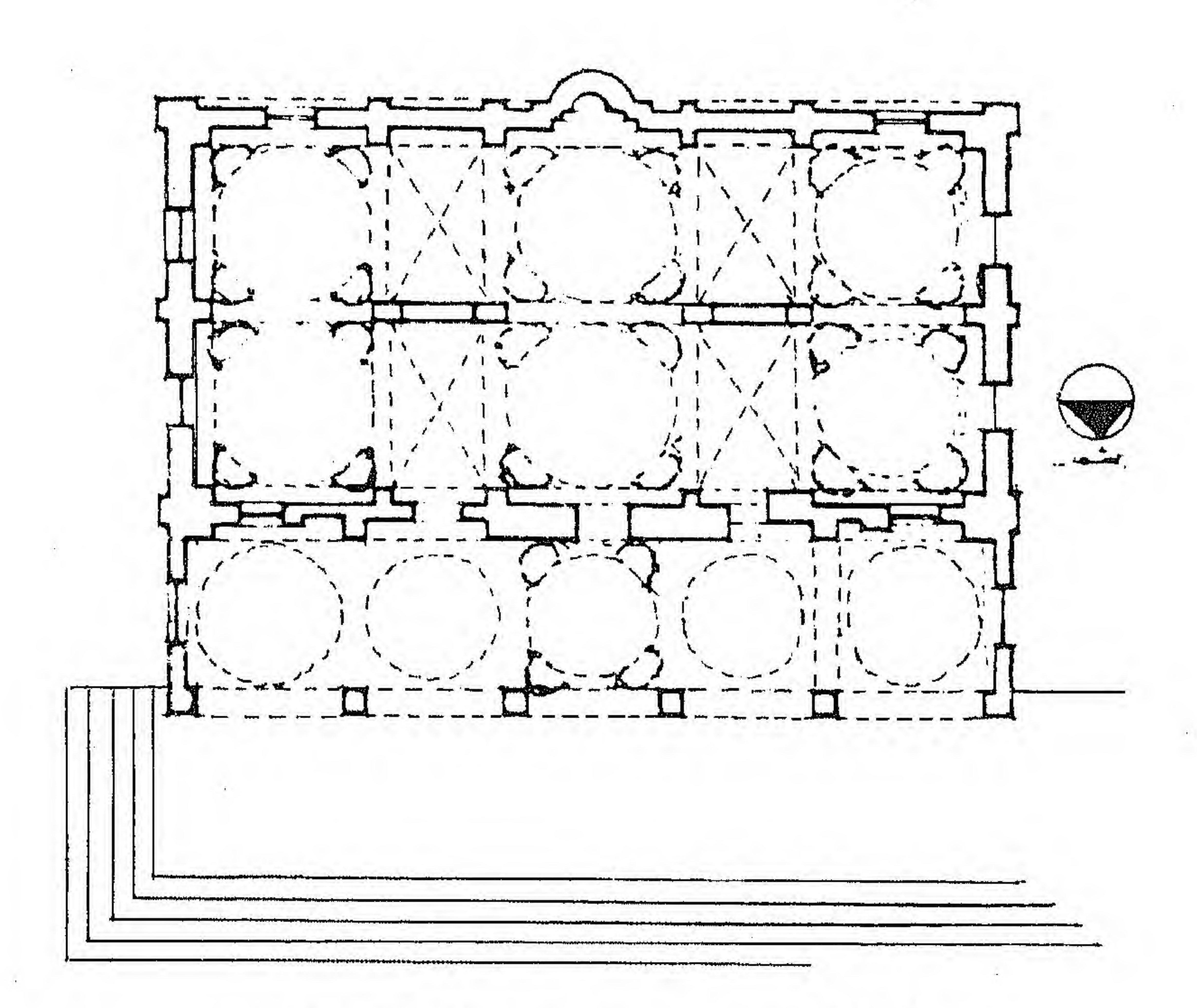


شكل رقم (٣) قطاع رأسى ح . د

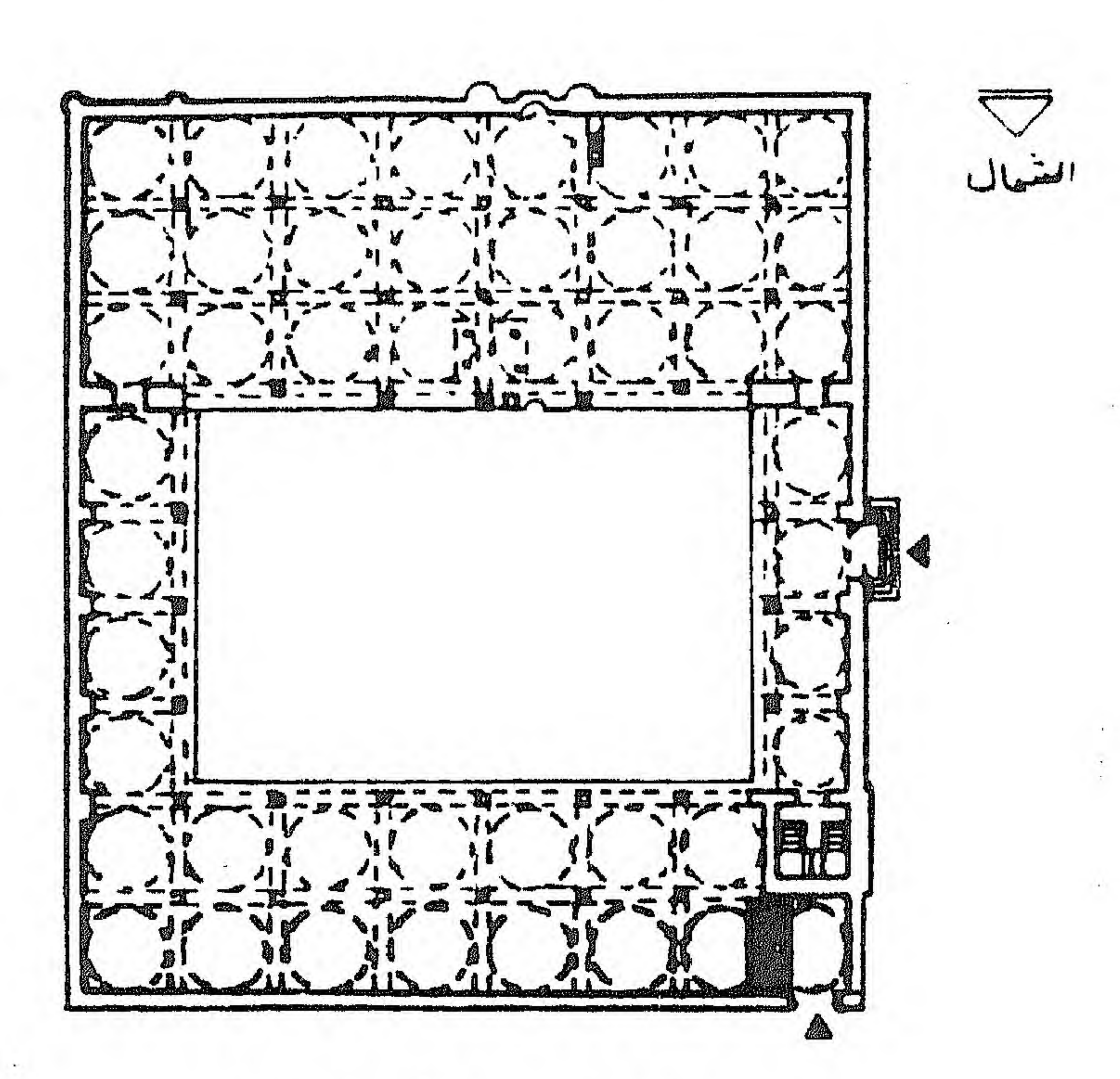
(مسجد البيعة الكبرى) .



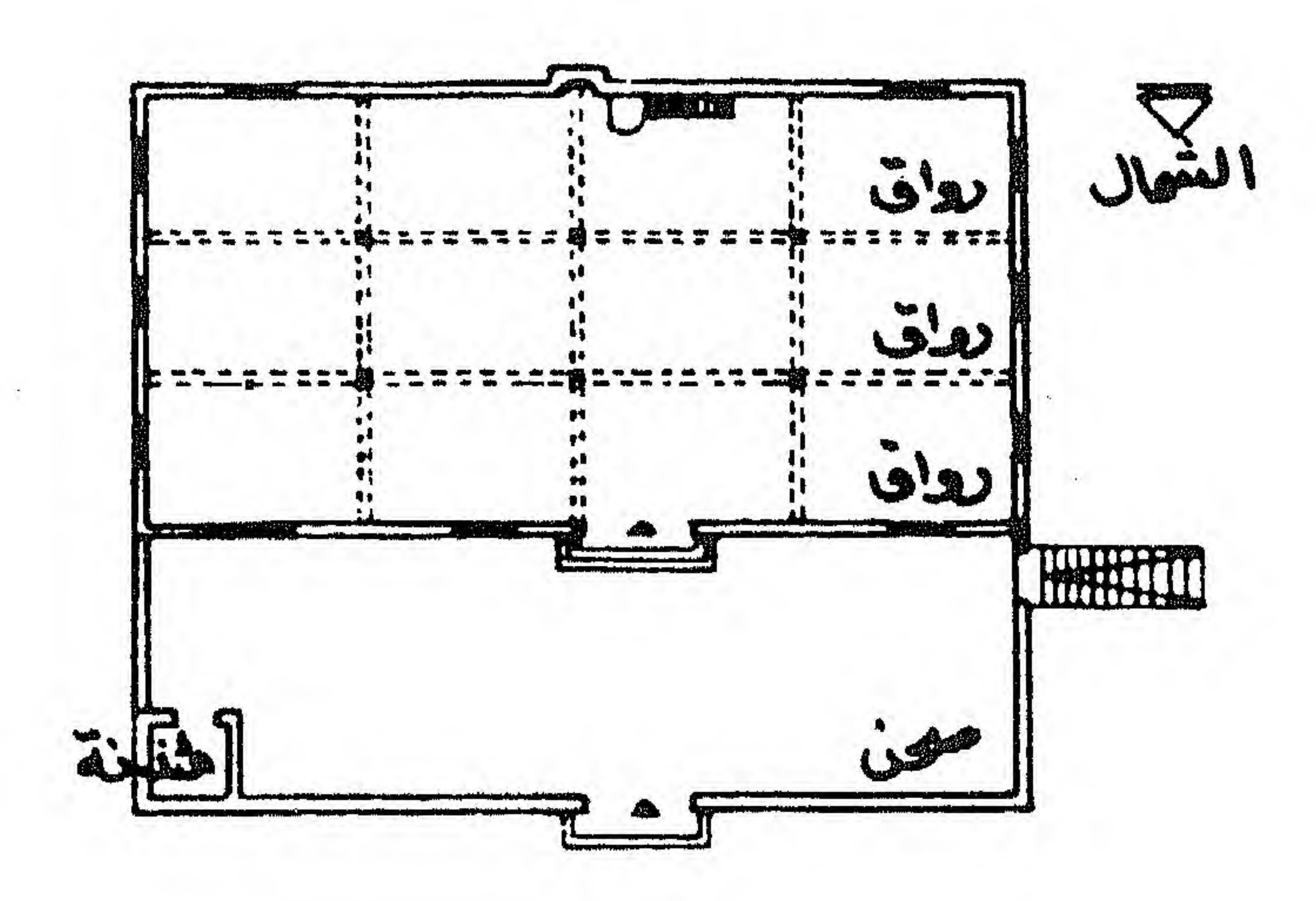
شكل (٣) : مسقط افقى لمسجد الجمعة للمبنى الحالى



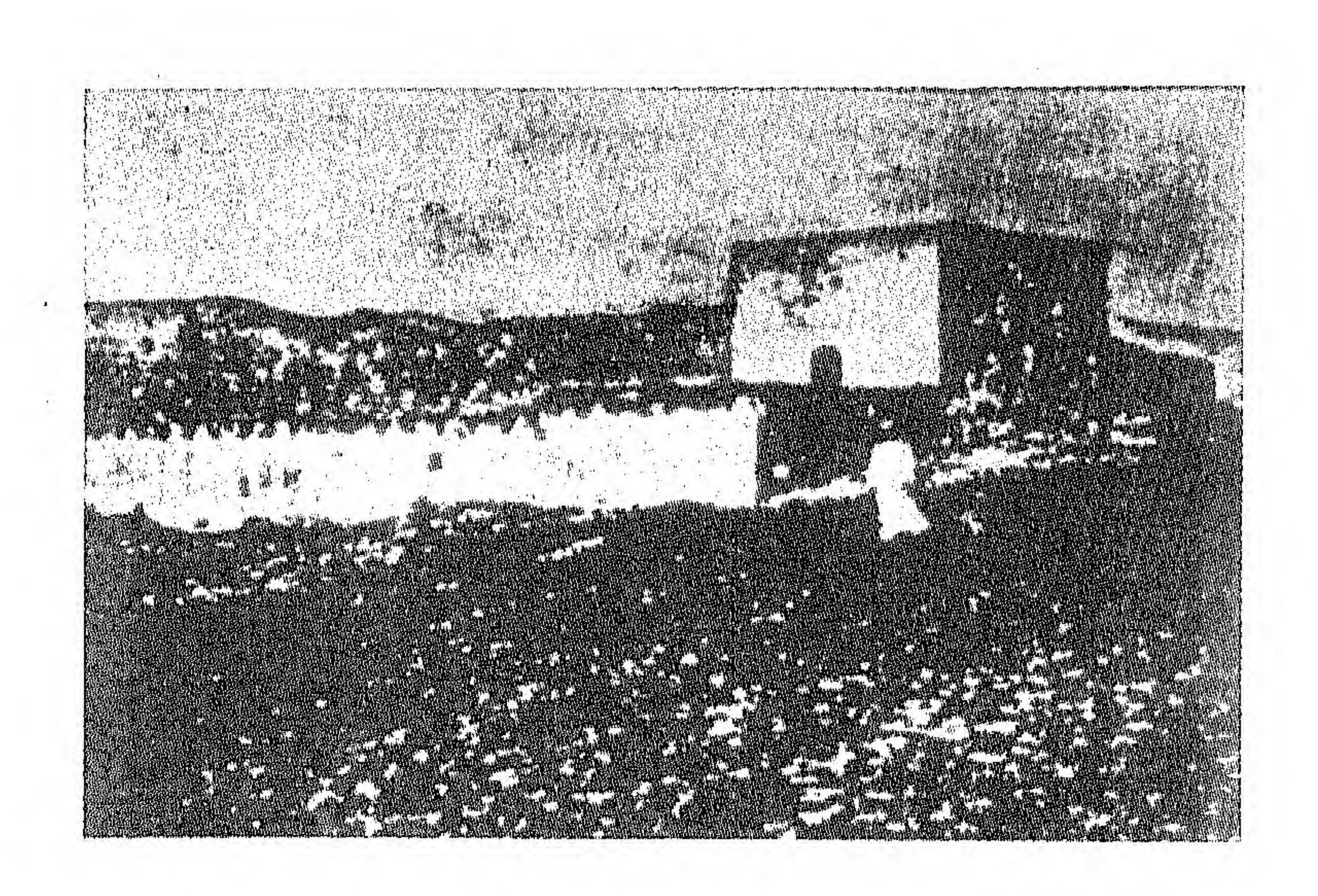
شكل (٤) : مسقط افقى لمسجد الغمامة بالمدينة المنورة .



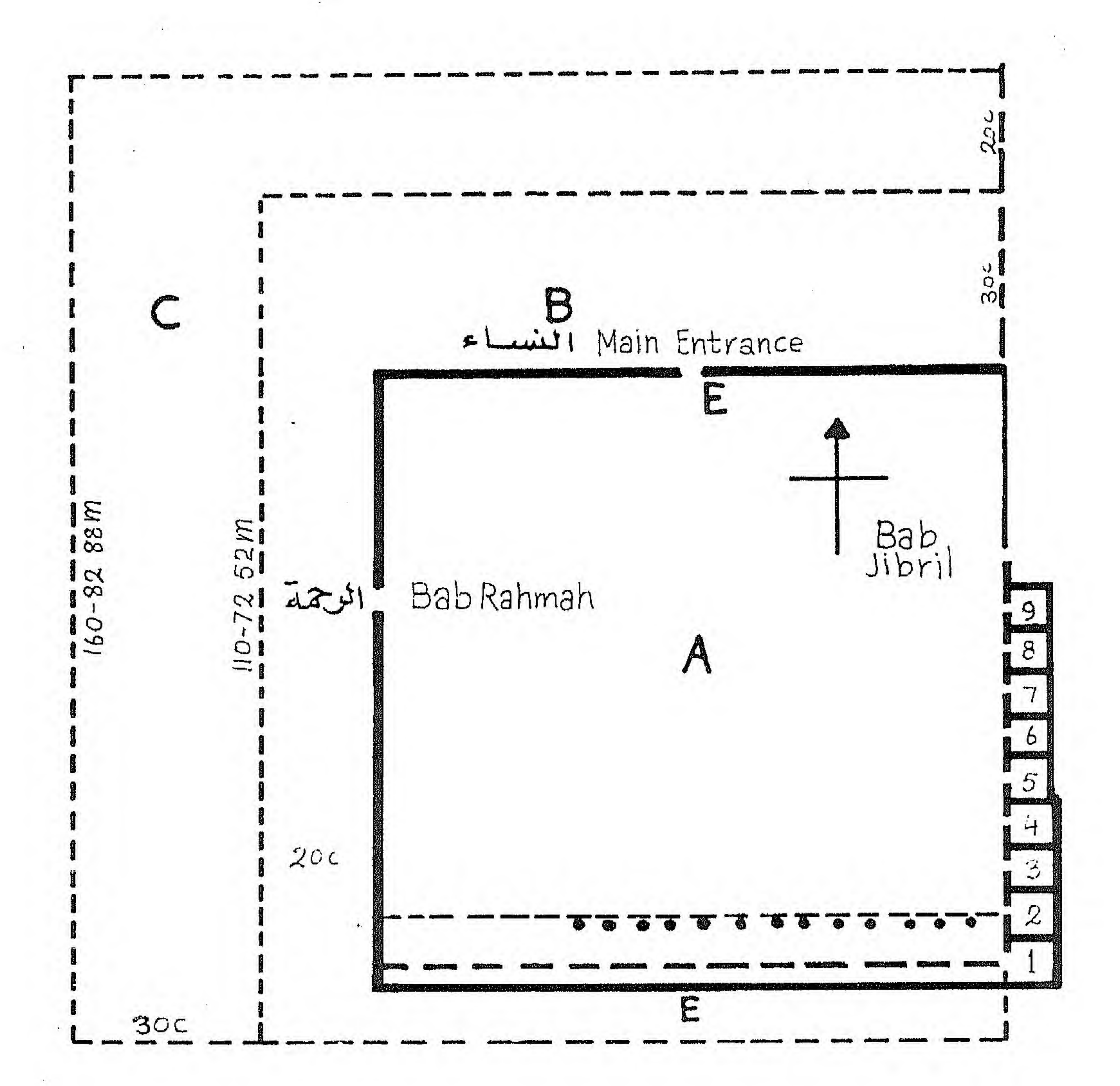
شكل (٥) : مسقط أفقى لمسجد قباء .



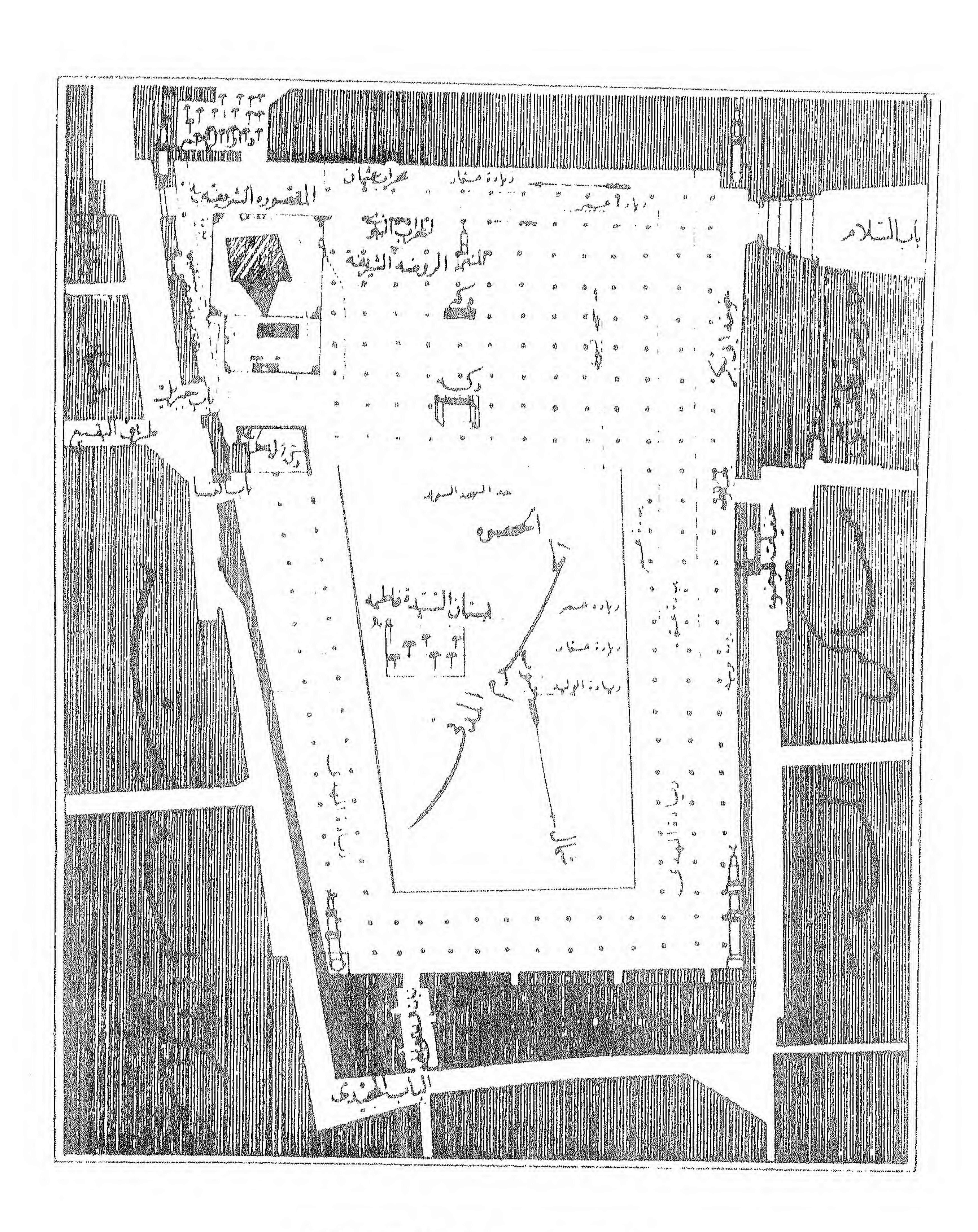
شكل (٦) : مسقط أفقى لمسجد القبلتين (عن صالح لمعى) .



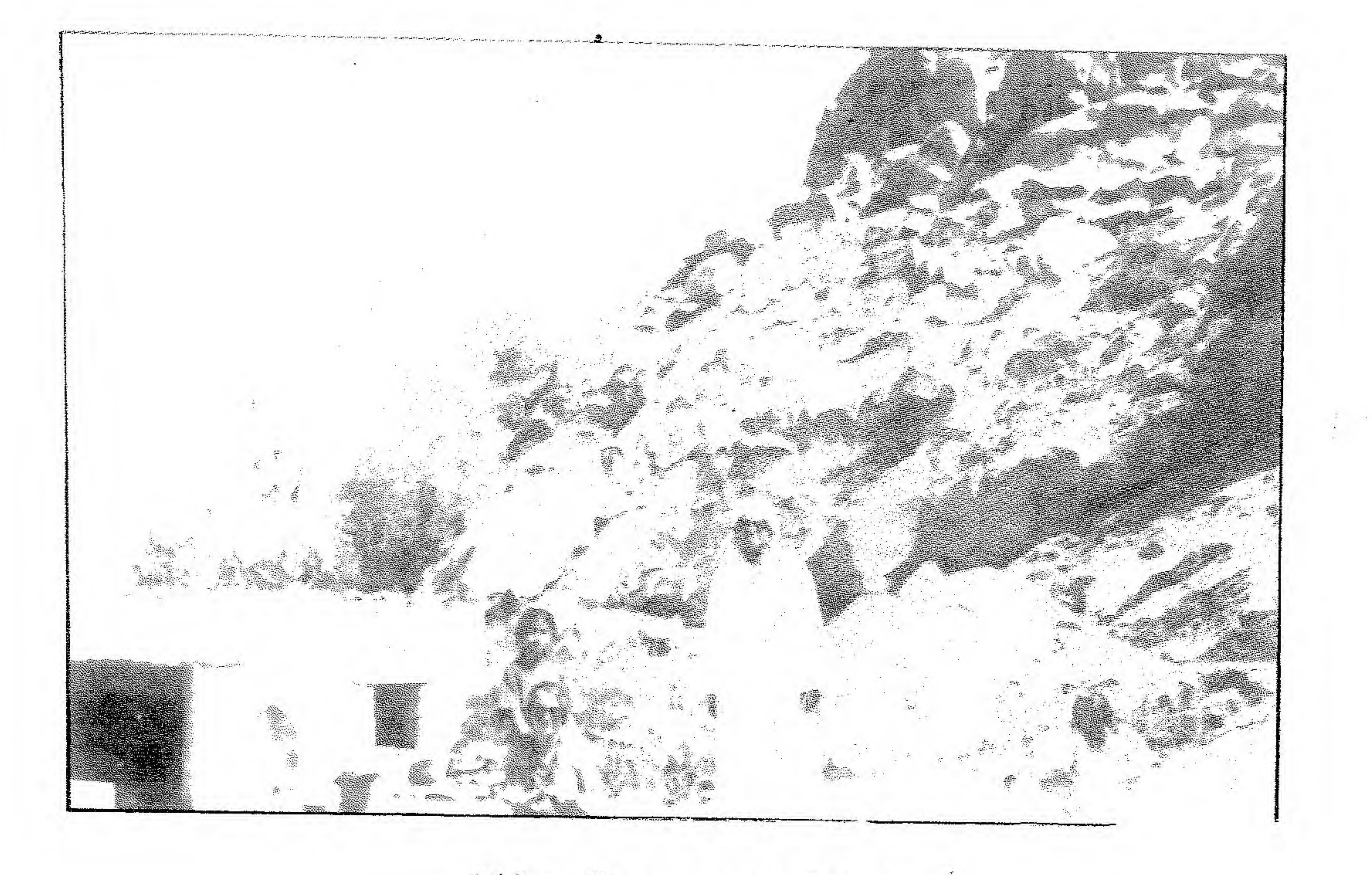
شكل (٦) : مسقط القبلتين : منظر عام ١٩٠٨ م (إبراهيم رفعت) .



شكل (٧) : تخطيط المسجد النبوى .



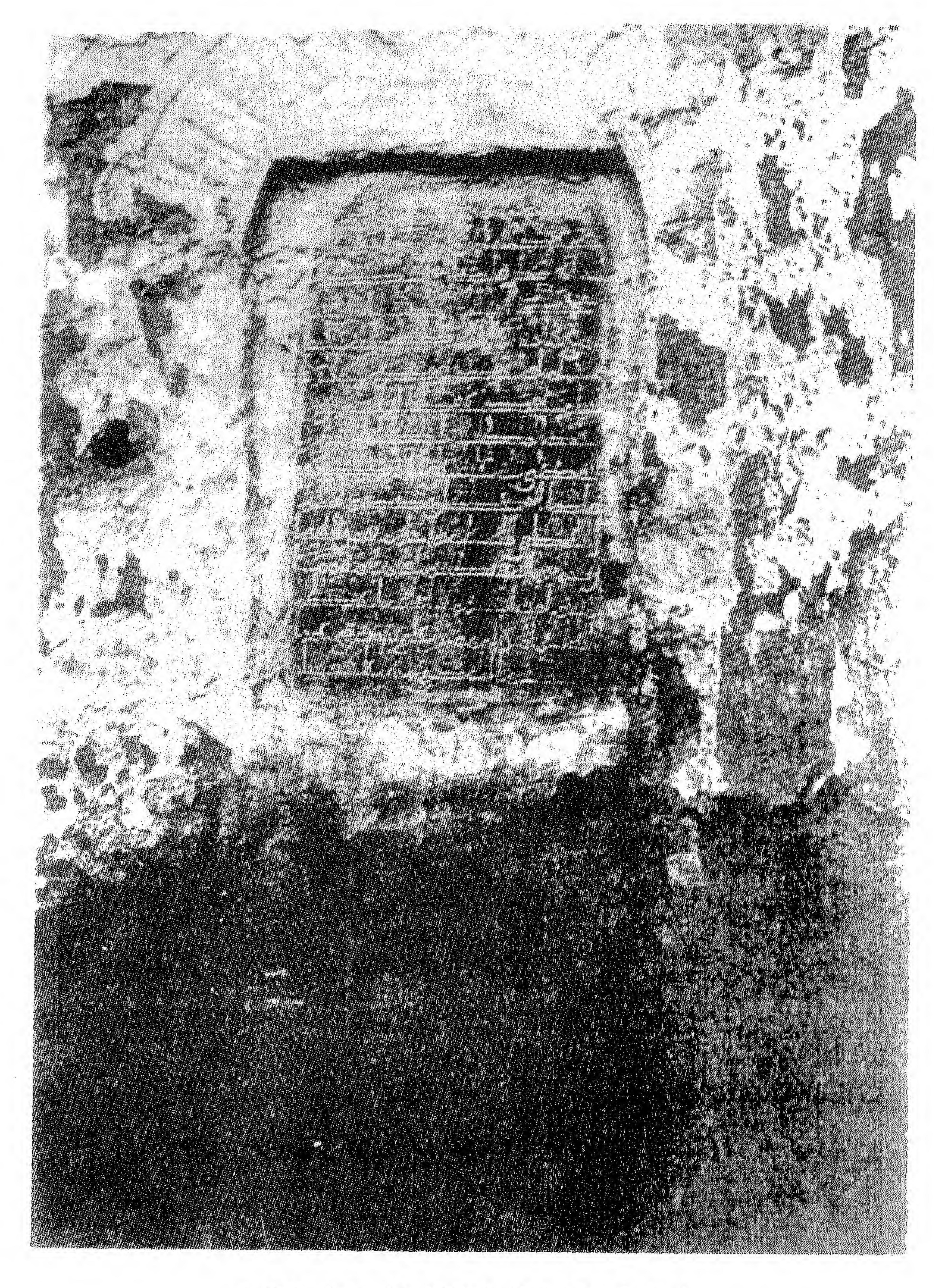
شكل (٨) : مسجد الرسول بالمدينة المنورة .



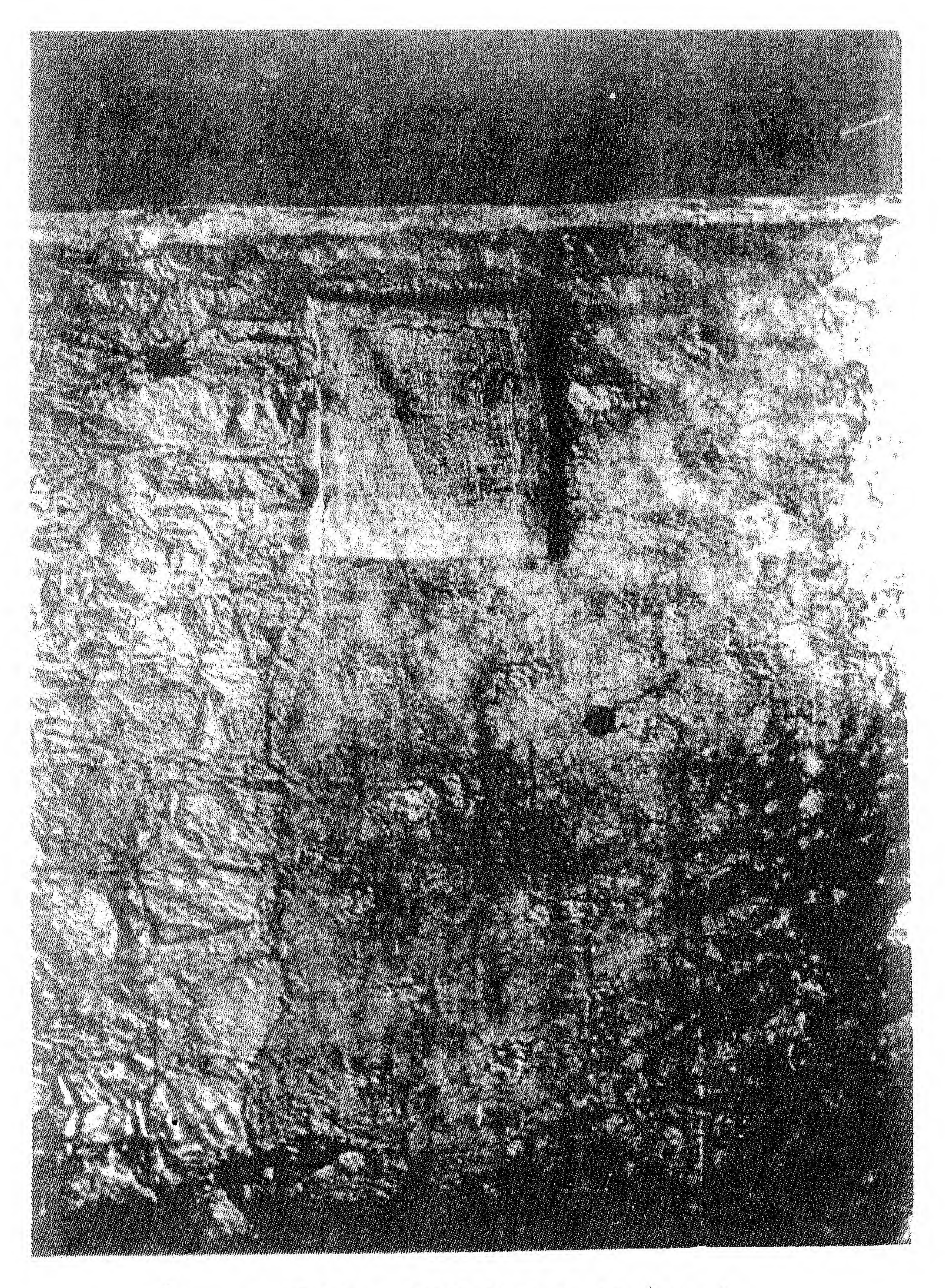
لوحة رقم (١) : مسجد الكوع بالطائف .



لوحة رقم (٢) : مئذنة مسجد عداس بالطائف .



لوحة رقم (٣) : اللوحة التذكارية لمسجد البيعة الكبرى .

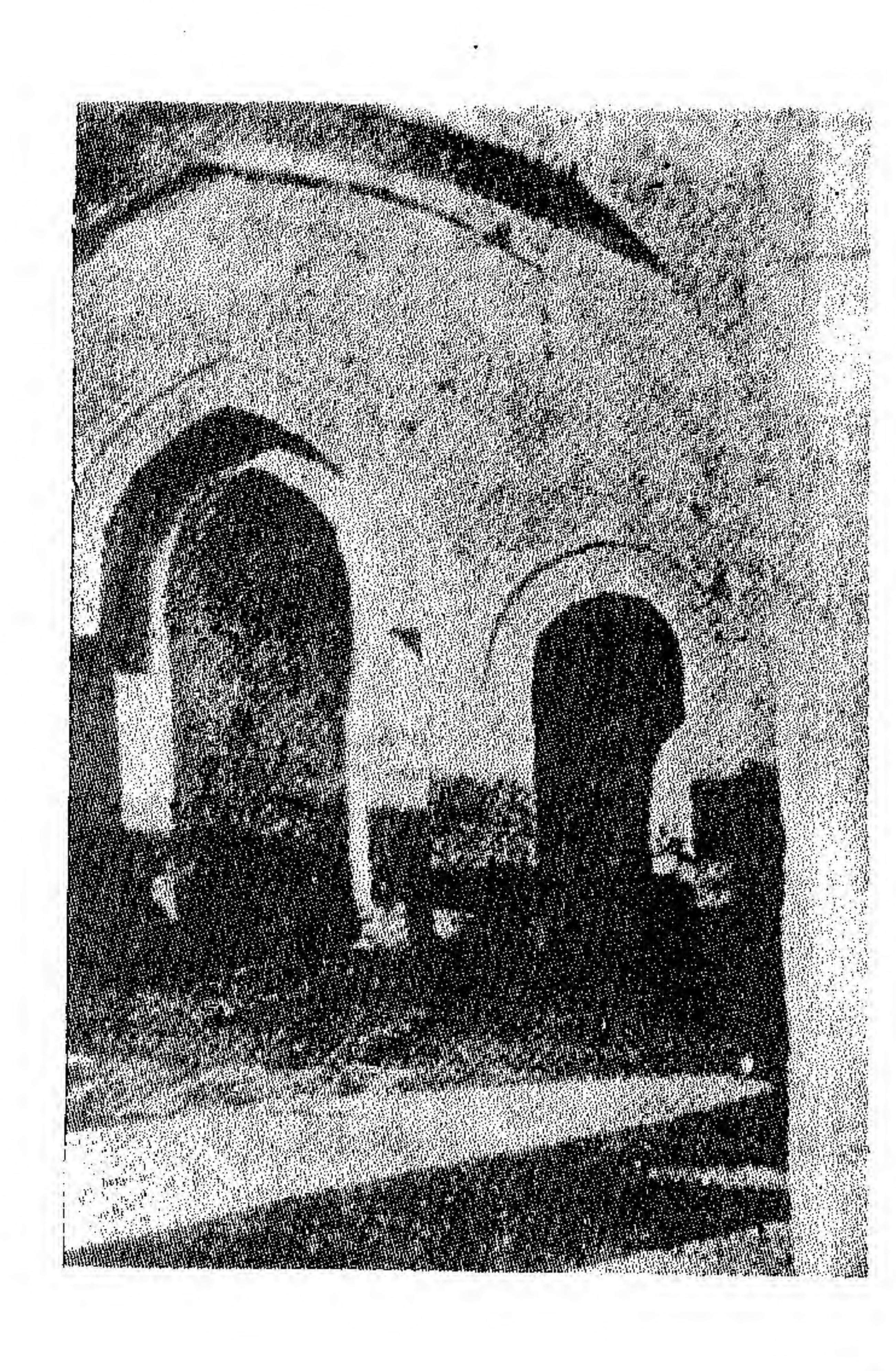


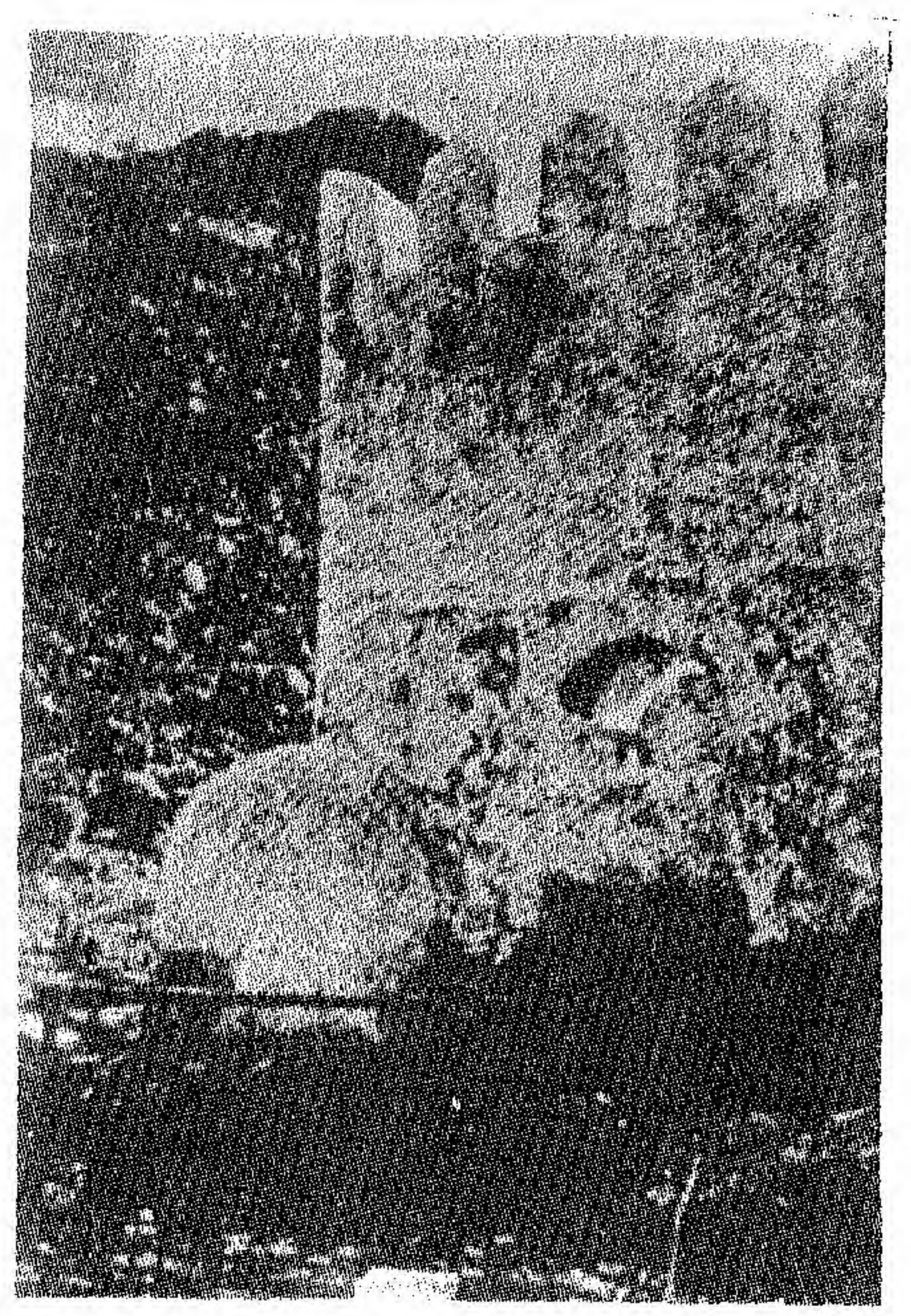
لوحة رقم (٤) : لوحة تذكارية ثانية لمسجد البيعة الكبرى .





لوحة رقم (٥) : مسجد البيعة الكبرى .

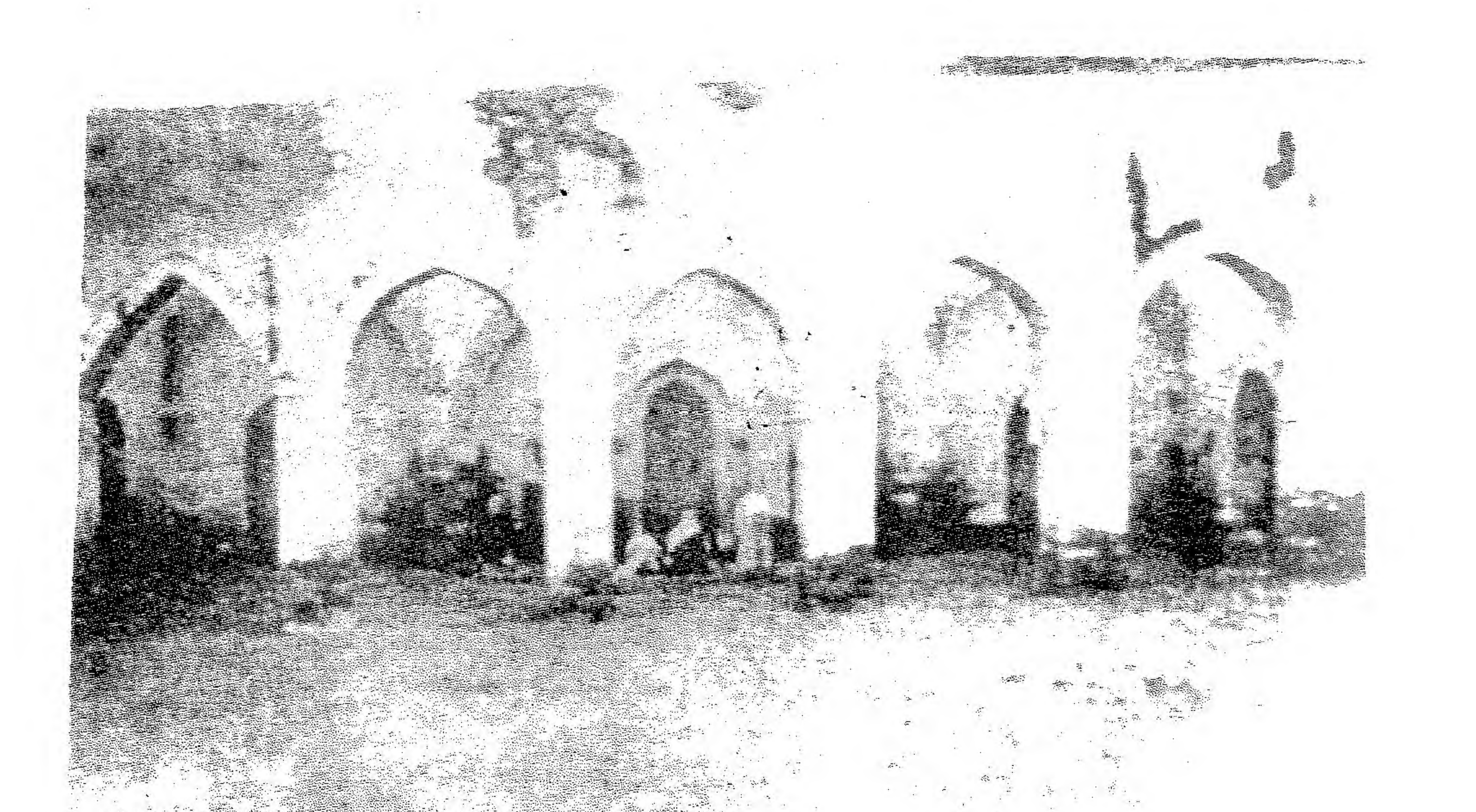




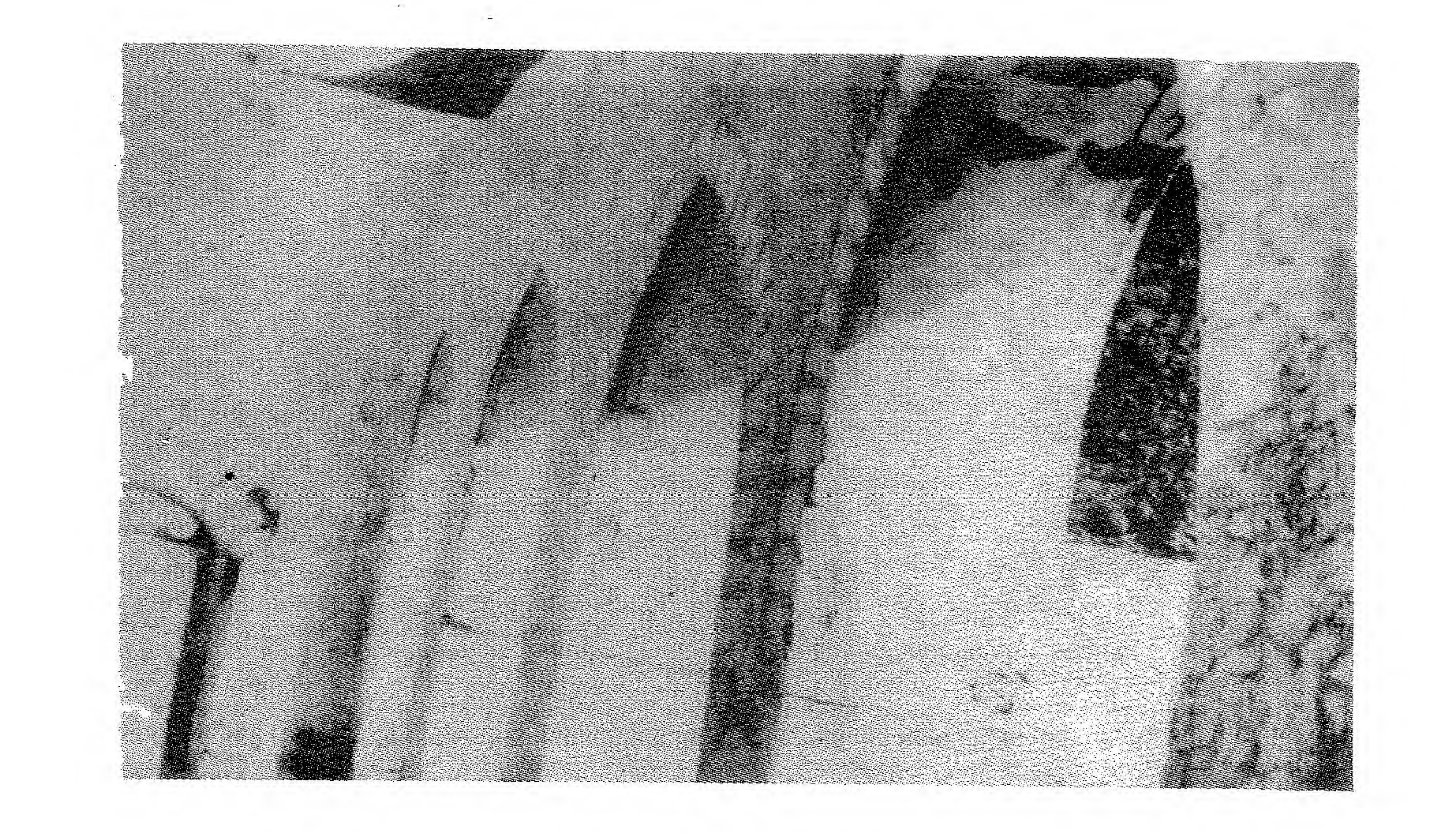
لوحة رقم (٦) : قبلة مسجد البيعة الكبرى .



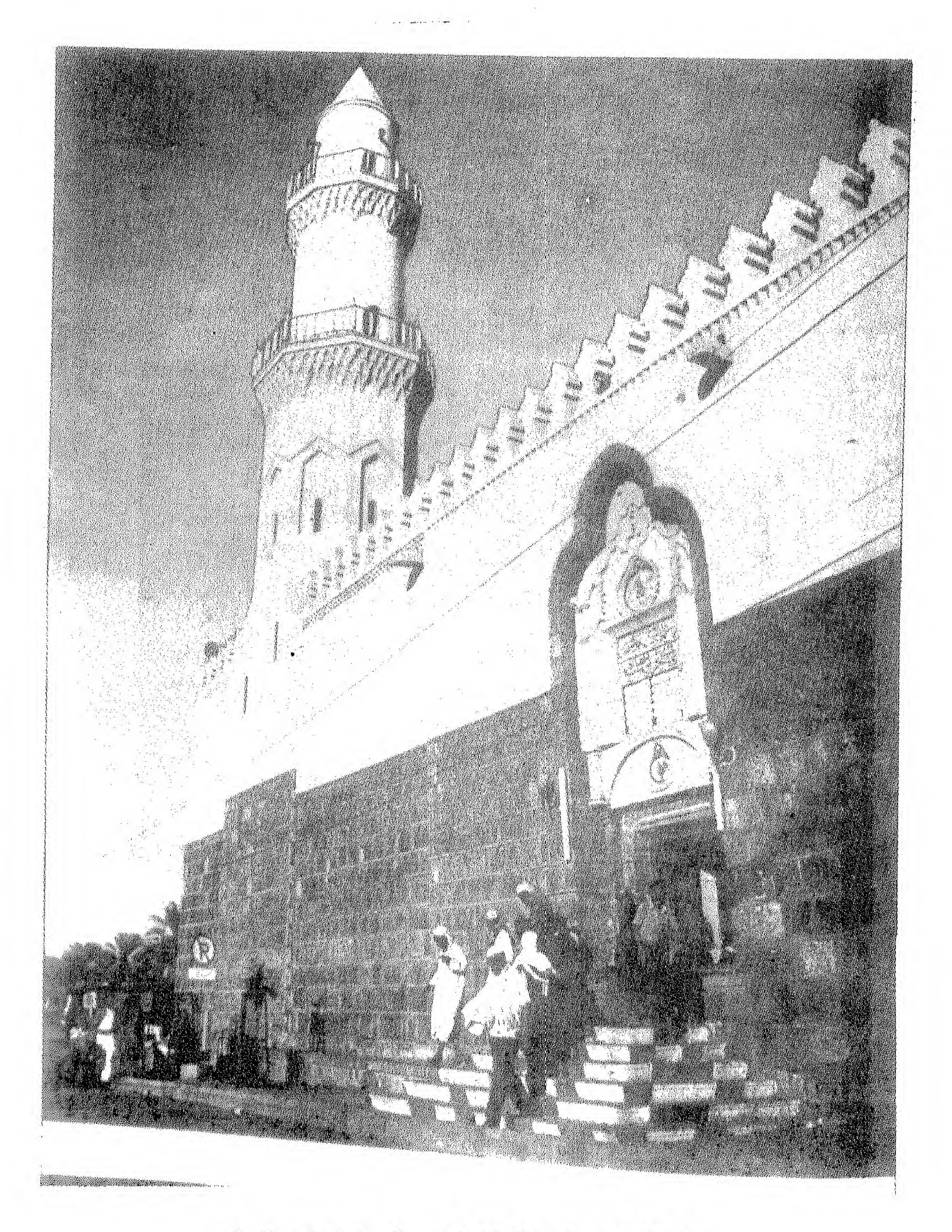
لوحة رقم (٧) : ايوانان بمسجد البيعة الكبرى .



لوحة رقم (٨) : بعض اروقة مسجد البيعة الكبرى .



لوحة رقم (٩) : اروقة ايوان القبلة بمسجد البيعة الكبرى .



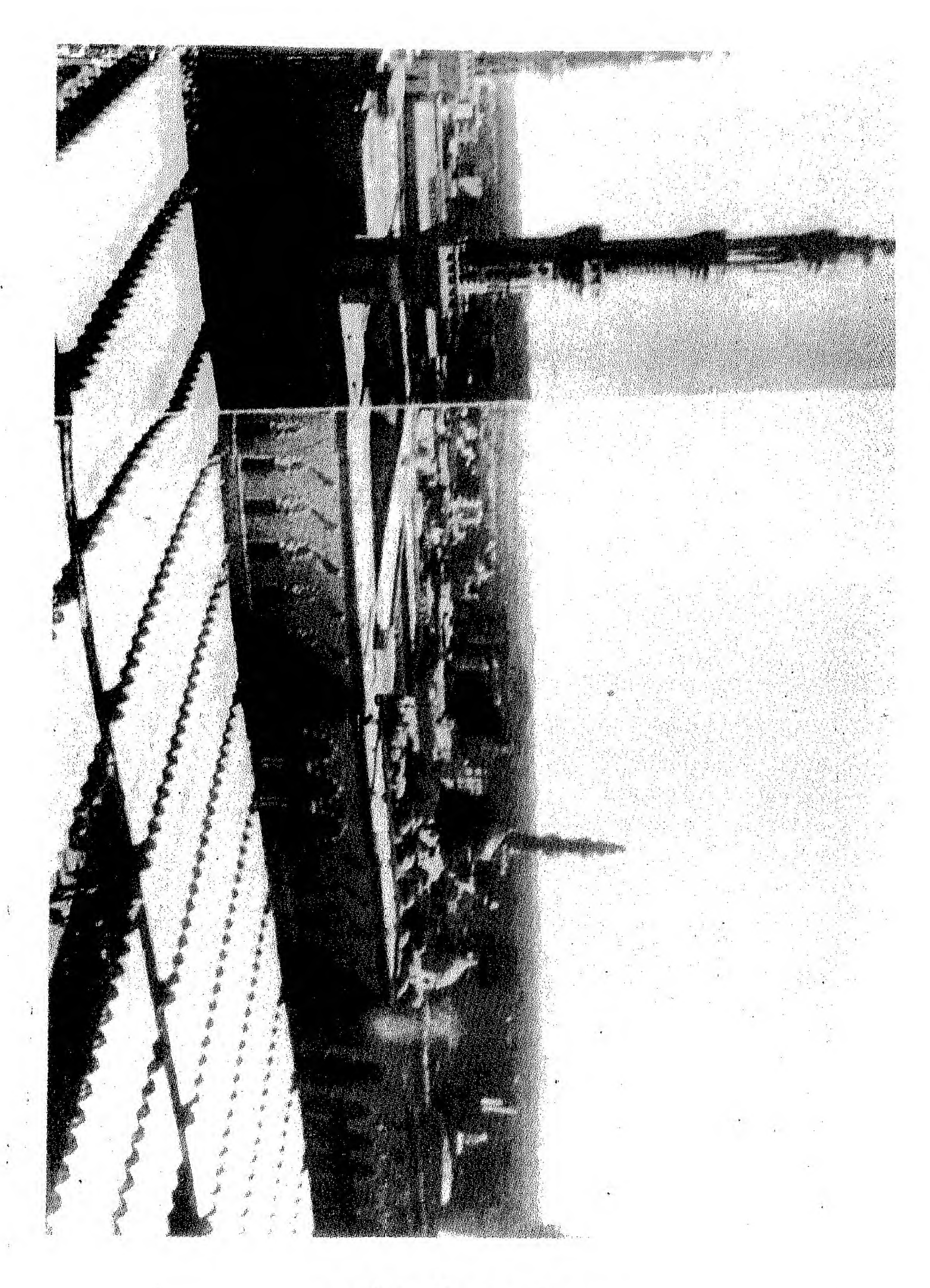
لوحة رقم (١٠) : المدخل الرئيسى لمسجد القبلتين بالمدينة .



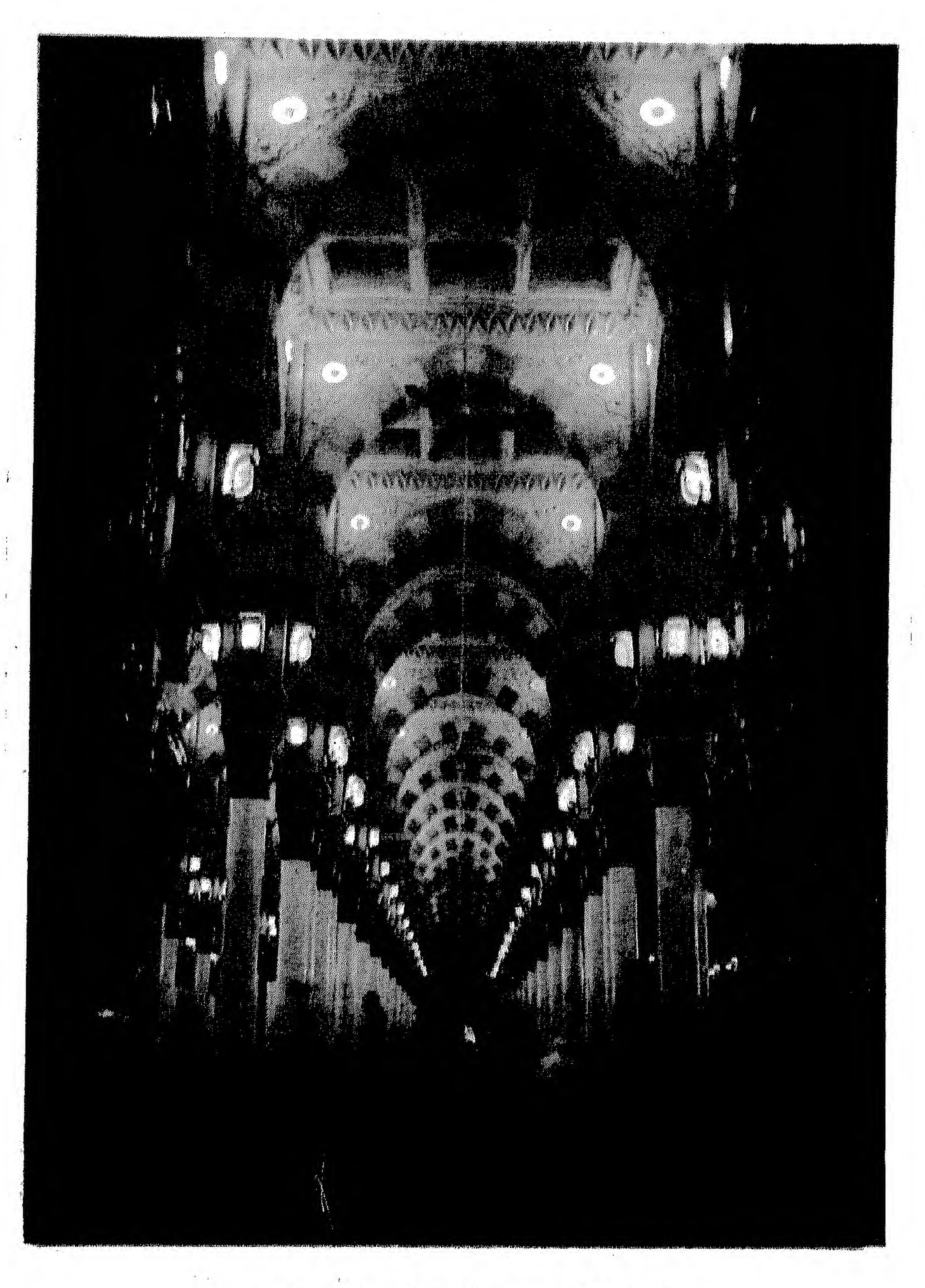
لوحة رقم (١١) : مسجد القبلتين بالمدينة المنورة .



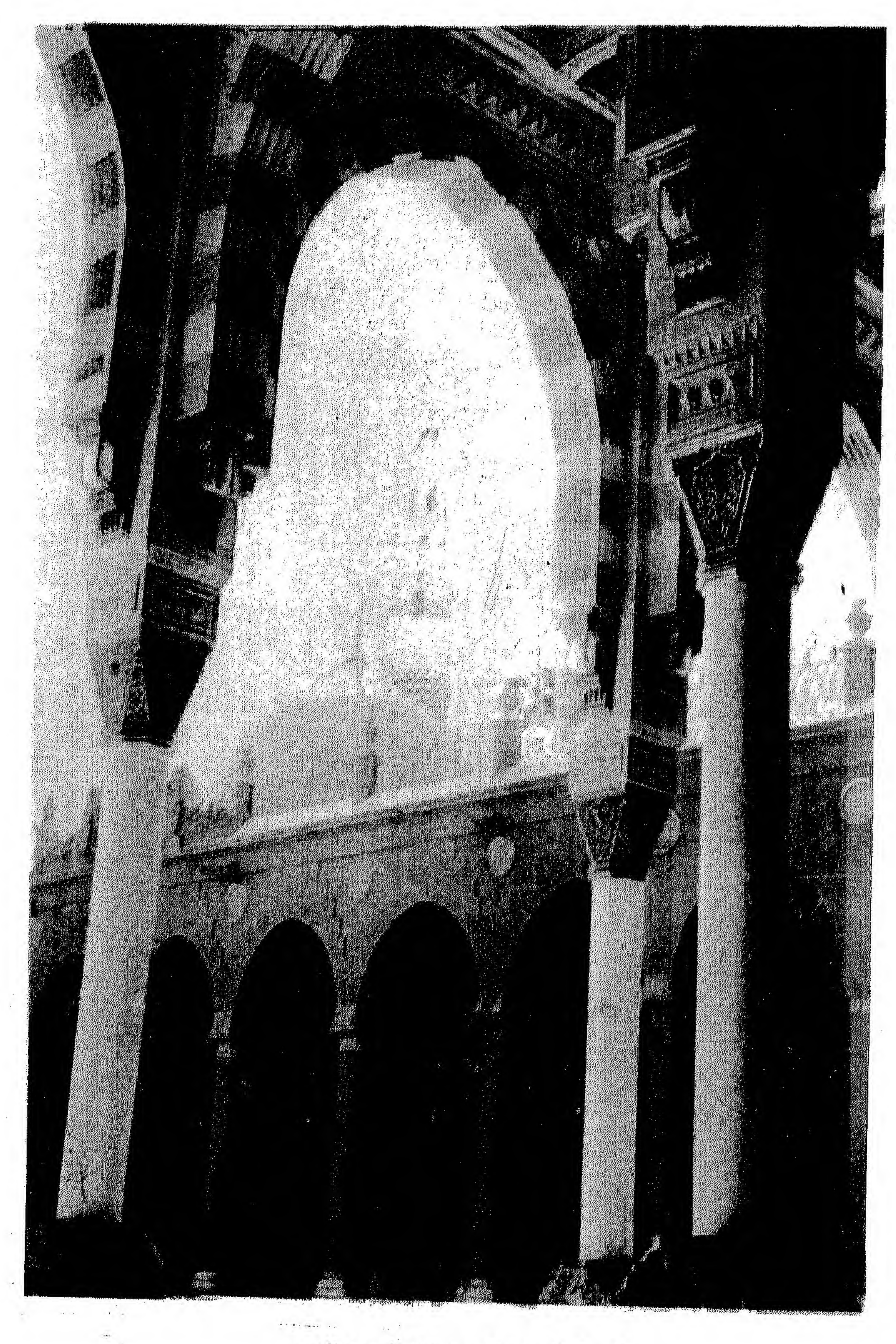
لوحة رقم (١٢) : محراب مسجد المصلى (الضمامه) .



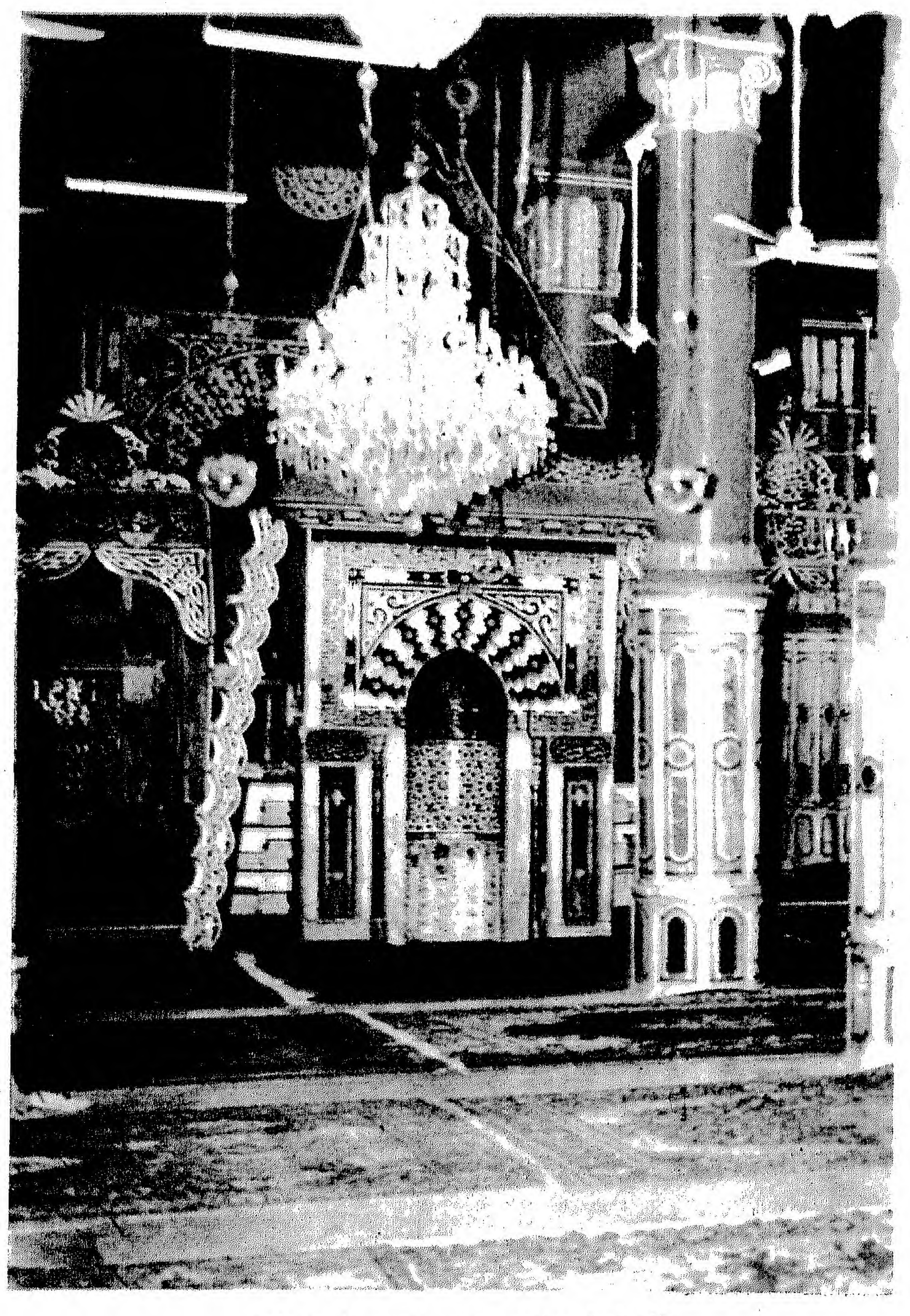
لوحة رقم (١٣) : المسجد النبوى .



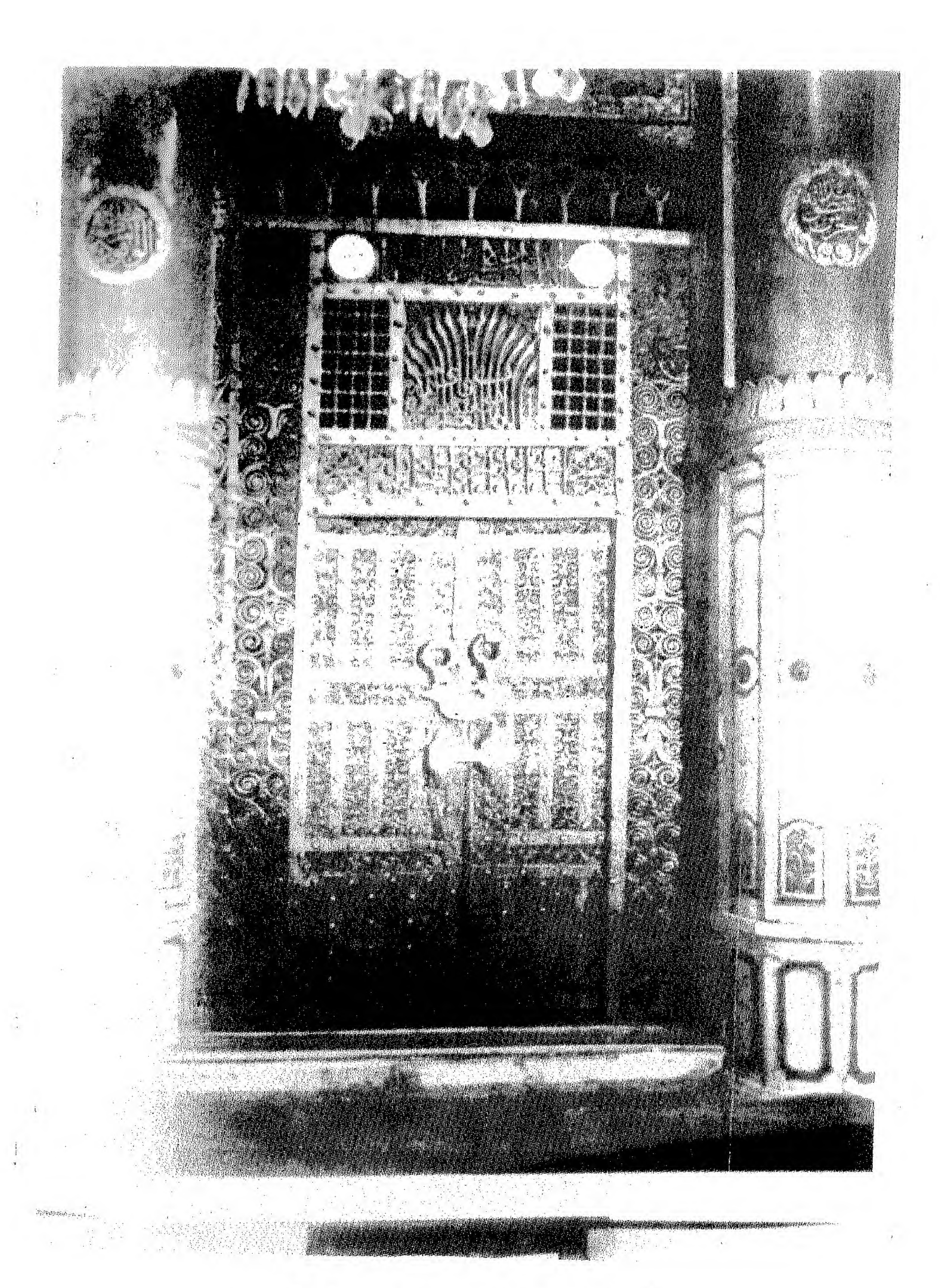
لوحة رقم (١٤) : أحد إيوانات المسجد النبوى .



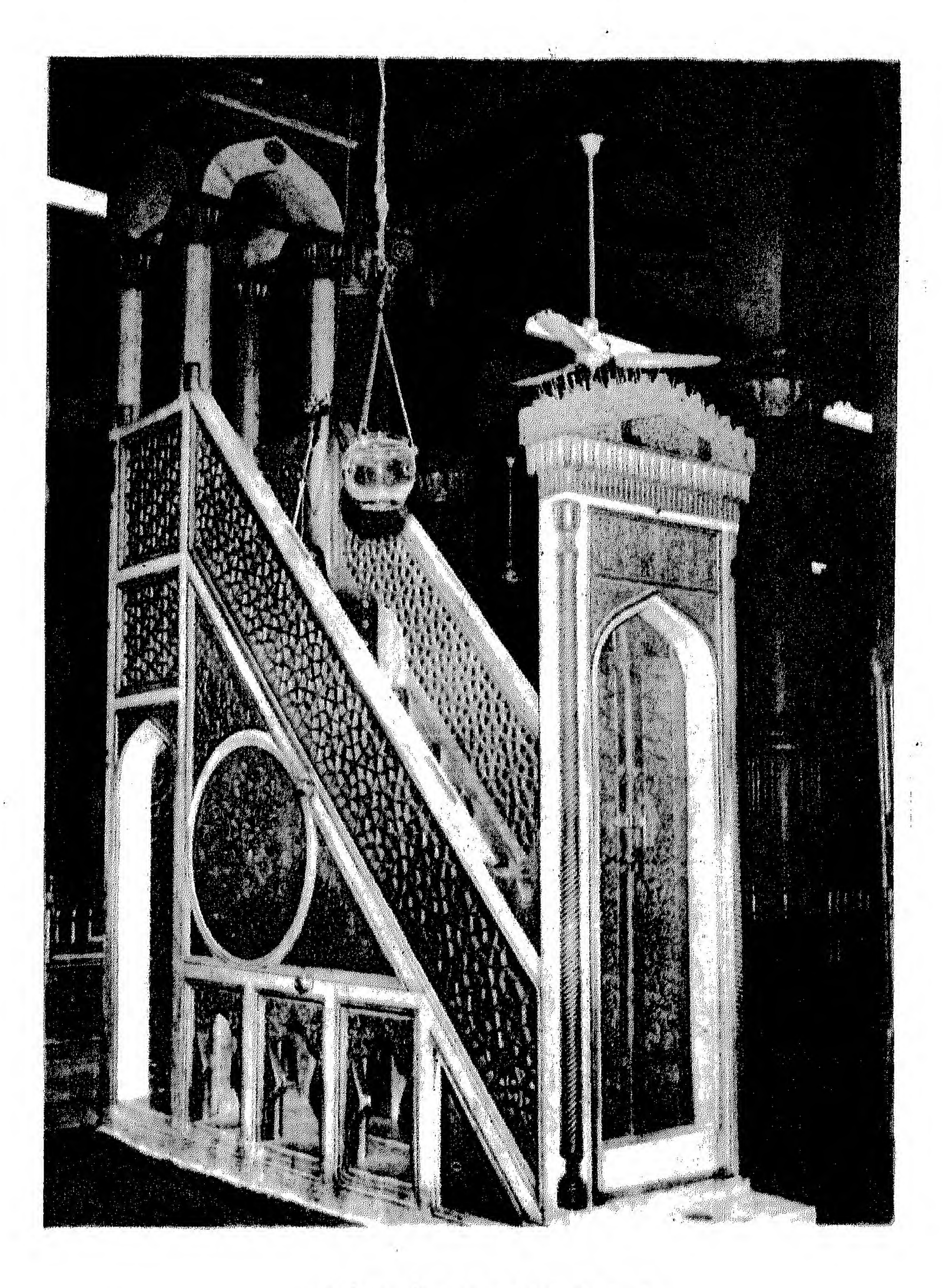
لوحة رقم (١٥) : اروقة المسجد النبوى .



لوحة رقم (١٦) : محراب قايتباى بالمسجد النبوى .



لوحة رقم (١٧) : باب المقصورة النبوية .



لوحة رقم (١٨) : محراب المسجد النبوى



لوحة رقم (١٩) : الباب الغربى للمسجد النبوى .

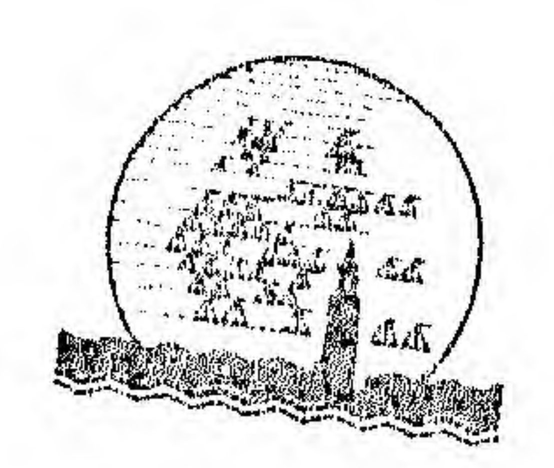


الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
مساجد فى السيرة النبوية العطرة	١١
التعريف بالمسجد	١٣
موقف الرسول أو مسجد الكوع	١٨
مسجد الخَّبزة	٢١
مسجد عدَّاس	٢٣
مسجد بيعة العقبة بمنى بمكة المكرمة	٢٤
وصف مسجد البيعة	٢٧
مسجد قباء بالمدينة المنورة	٣٥
الوصف المعمارى	٤٢
مسجد القبلتين	٤٤
الوصف المعمارى لمسجد القبلتين	٤٦
مسجد الجمعة	٤٧
الوصف المعمارى لمسجد الجمعة	٥٠

الصفحة	الموضـــــوع

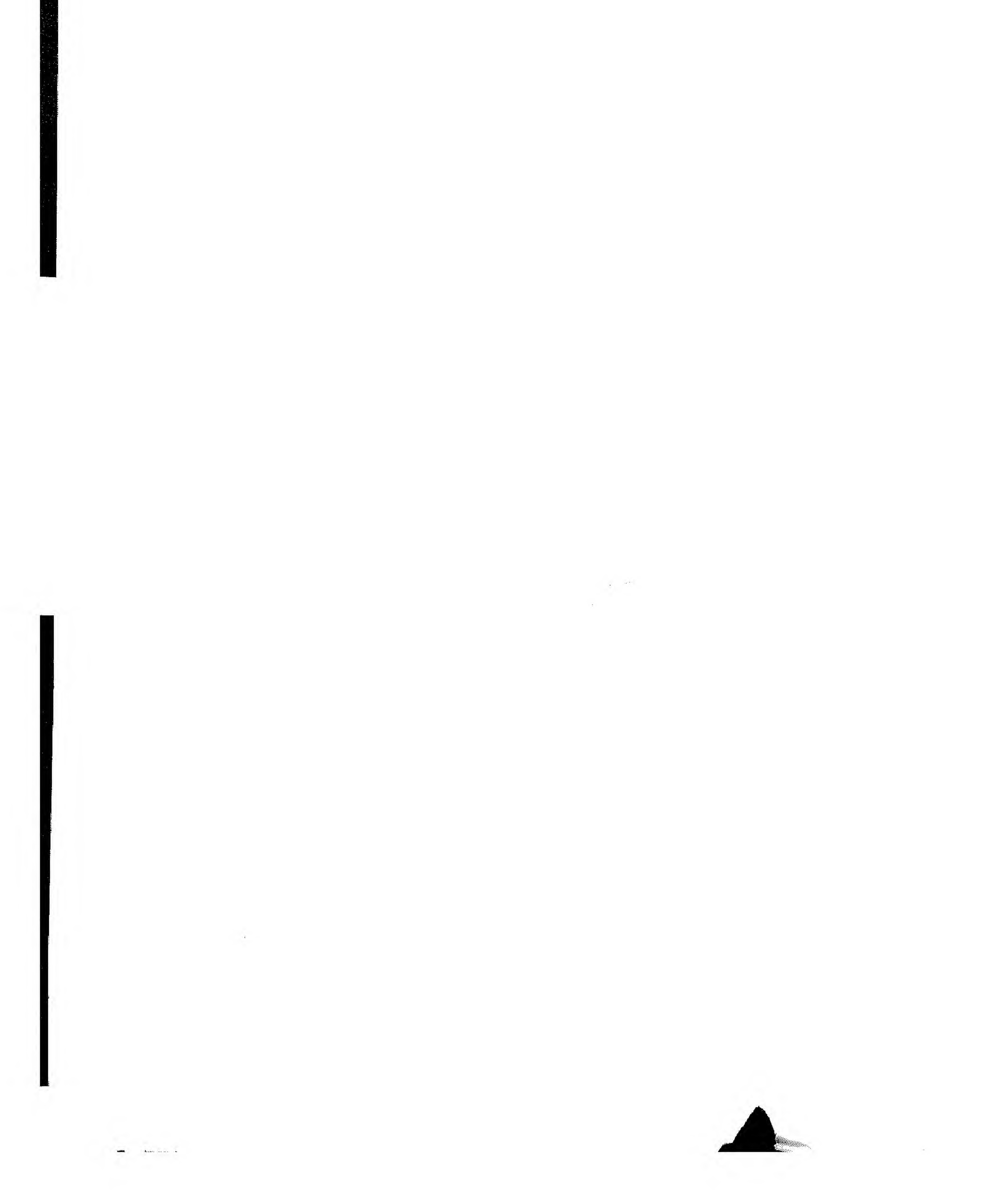
الوصف المعماری لمسجد المصلی أو الغمامة ٥٣
مسجد عبدالله بن العباس بالطائف ٥٥
المسجد العباسی ٥٨
المسجد النبوی ٦٣
المسجد النبوی فی عمارة الدولة الأموية ٩٠
عمارة المسجد النبوی (بعد الحريق الثانی سنة ٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م) ٩٧
عمارة المسجد النبوی فی عهد الدولة السعودية ١٠٢
مسجد مصلی العيد المعروف بمسجد الغمامة ١١٤
الوصف المعماری لمسجد المصلی أو الغمامة ١٢٠



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤٧٠٦

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٤٤١ - ٣



لقد ورد فى السيرة النبوية ذكر كثير من الأماكن التى كان لها صلة بالبعثة النبوية وقد وصى المسلمون تخليدا لهذه السيرة العطرة أن يقيموا مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً تعبدا وتبركا وتبتيلا .

ومن بين تلك الأماكن مدينة الطائف التى ذهب إليها الرسول ليستنجد بأهلها لينصروه ضد أهل مكة الذين لم يؤمنوا برسالته فأقام المسلمون فيها مسجد الكوع عند أسفل الجبل الذى تخضب بدماء كوع الرسول ومسجد عداس العبد المسيحى الوحيد الذى أسلم بالطائف عندما دعاه الرسول للإسلام ثم مسجد الخبزة فى المكان الذى قدمت فيه امرأة الخبز للرسول وهو بقرب مسجد عداس .

وفى منى بمكة مسجد البيعة الذى أقامه الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٦٤ هـ وهو نفس المكان الذى أخذ فيه العباس عم الرسول (جد الدولة العباسية) البيعة من أهل المدينة قبل هجرته إليها .

وفى المدينة المنورة مسجد قباء ومسجد الغمامة والمساجد السبعة ومسجد القبلتين ثم المسجد النبوى لكثرة ما ألف وصنف عن السيرة النبوية إلا أن هذه المساجد العظيمة الذكر والأثر لم تحظ بما تستحقه من الدراسة ومن ثم فقد رأينا أن نوليها ما تستحقه من الذكر والدراسة الأثرية والمعمارية .

٣٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب